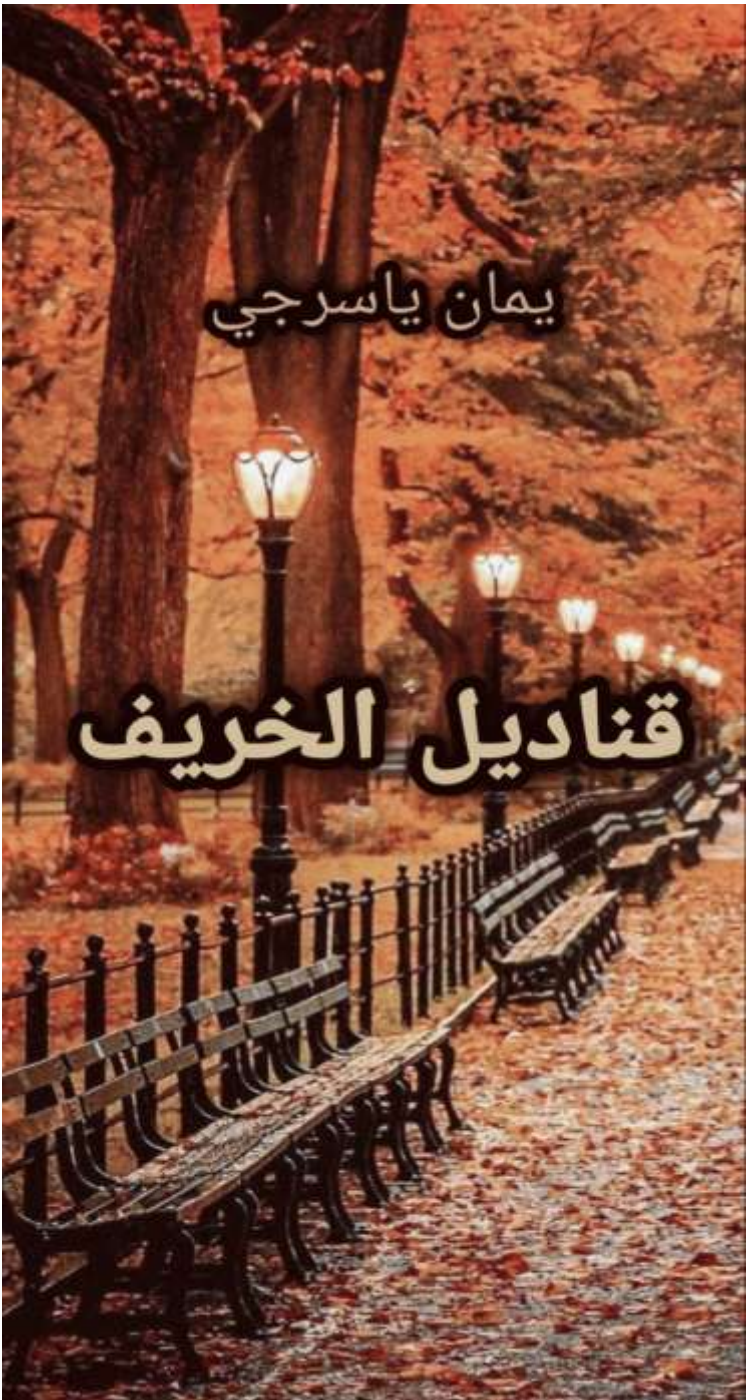
يمان ياسرجي
قناديل الخريف

# قناديل الخريف

يمان ياسرجي

قصص ونصوص أخرى

عنوان الكتاب: قناديل الخريف

الموضوع: قصصٌ ونصوصٌ أخرى

تأليف: يمان ياسرجي

قياس الصفحة: A5

تصميم الغلاف: فرح ياسرجي

يطلب من المؤلّفة:

هاتف جوّال : ٠٩٣٣٥٤٣١٣٨. - ٠٩٦٨٥١٤٨٢٠.

Yaman1962@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلّفة

## الإهداء

إلى حبٍّ مختلفٍ.. جدّاً....

إلى حبٍّ.. له طعم الحبّ، ولونه، ولحظاته.....

لكنّه لا يشبه الحبَّ أبداً..

ولا ينتمي إليه.

يمان

٢٠/ ٩/ ٢٠٢١

# النَّورَسان

نورسٌ هرِمٌ.. تهدّل جناحاه وهرِما، وما عادا يقويان على الطيران لمسافاتٍ طويلةٍ، آثر الوقوف على ساريةِ سفينةٍ مهجورةٍ مرميّةٍ عند الشاطئ.. يستقبل فوقها ريح البحر المنعشة التي تستثير رغبته بالطيران، فيفرد جناحيه إلى آخر مداهما، ويلبث ساكناً مستمتعاً بدغدغة نسائم الهواء لريشاته المتراقصة.

كنتُ أراه يتأمّل الشاطئ القريب، حتّى إذا خلا من زوّاره هبط إليه يلتقط ما يقيم أوده من عوالق الموج.

رقّ قلبي له.. فقرّرتُ أن أنثر له فوق الرمال طعاماً في أوّل ساعات الفجر، ثمّ أعود أدراجي إلى كُشك القصب الذي يواريني عن عينيه.

غير مرّةٍ فعلتُ هذا.. واستطارت لبّي نظرةُ امتنانٍ توهّمتها تختفي تحت جفنيه.. استخفّني الأمر أكثر قبل أن أنتبه إلى سرٍّ يجمعني به..

إنّه سميّي.. وأنا النّورس البشريّ ٱلذي اختار له والده اسم نورس إمعاناً في عشق البحر وتبتّلاً إلى كلّ ما يتّصل به.

أنا أيضاً رجلٌ هرِمٌ..

خلّفته الحرب وحيداً بين أعواد كشك القصب هذا.. فقد ركب أحبّتي عنان الأمواج، وتفرّقوا في الموانئ يستمطرون شؤون حياتهم الخاصّة، بينما بقيت أنا وحدي أقتات سمكةً وأغازل أخرى، إلى أن اكتشفت وجود هذا النّورس الهرِم، فقرّرت أن أضيفه إلى قائمة أصدقائي..

بدأت بواعث الصّداقة تدعوني إلى مزيد من التّحايل عليه لاستمالته..

رحت أنثر الطعام على الشاطئ، وألبث غير بعيدٍ في سكونٍ تامٍّ وكأنّني تمثالٌ حجريٌّ، كي أوقعه في وهم خلوّ المكان..

نجحت خطّتي مراراً.. فازداد شغفي لعقدِ صفقةٍ أكثر ألفة معه، وبخاصّةٍ عندما أيقنت أنّه اعتاد رؤية شكلي الثّابت، واطمأنّ إلى هدوئي.

ذات يومٍ.. وضعت له طعاماً فوق يدي الممدودة دون حراك.. اقترب أليفي منّي فاستقبلته بنظرات ودٍّ صادقٍ، أنِس بها على ما أظنّ، حتّى خيّل إليَ أنّه يبتسم.. وضحكتُ في سرّي من مشهد ابتسامةِ منقارٍ صلبٍ في لقطةِ فيلمٍ كرتونيٍّ جميل.

همست له بحنانٍ حقيقيّ: اقترب يا صديقي..... اقترب واهنأ بمشاعري الطيّبة فما يجمعنا أكثر ممّا يفرّقنا.

وتلاقينا.. أنا وهو على مائدة حبٍّ من نوعٍ فريدٍ..

نتقاسم هدوء البحر، وروعة الغروب، وعزف الأمواج في اللّيالي المقمرة، إلى أن فاجأنا ذات شتاءٍ إعصارٌ بحريٌّ عاصف، كسر السارية الصّدئة التي لبثت تقاوم تقلّبات الدّهر أعواماً طويلةً، وزلزل السفينة الرابضة بصمتٍ موحشٍ فوق صخور الشاطئ، فأمعن في تحطيمها، وقلبها رأساً على عقب..

لم تكن يد الإعصار أرحم بكشكي الصّغير المتواضع، فاقتلعته وألقت به حيث لا أدري، بينما كنت أحتمي بأقرب بناءٍ إسمنتيٍّ مجاورٍ وأنا أرقب المكان، بلهفةِ الخائف المذعور، باحثاً عن

صديقي المسنّ، وقد أيقنت أنّه غير قادرٍ على الاحتماء من ويلات الإعصار..

بعد حينٍ لم يطل كثيراً، لكنّه كان كافياً ليترك آثاره المدمّرة، خرجت من مخبئي الخائن، لأستطلع النّتائج، وألتمس رؤية سميّي..

كان هناك..

على صخرة قريبةٍ.. مبلّلاً.. دامياً.. هامداً..

حين رأيته هكذا، خارت قوايَ تماماً، وفقدت آخر رغباتي بالحياة..

تحاملت على قدميَّ الخائرتين، وزحفت إليه، أجرّهما إلى مكانه، إلى أن سقطت قربه مغشيّاً عليّ من الحزن والوجع..

وإلى جواره.. لفظت آخر أنفاسي.

# يحكى أنَّ....

قبيل انتهاء اللّقاء المرِح الذي جمعني والصّديقات، ومع الإعداد لقهوة "مع السلامة، كما يدعونها" أخبرتنا مضيفتنا أنّها ستقدّم لنا مفاجأةً خاصّةً.. قالت:

سأدعو جارتي لتناول القهوة معنا، إنّها قارئة فنجانٍ من الطراز الرفيع، هيّا يا صبايا ولتقلب كلٌّ منكنّ فنجانها ولتضمُر شأنها، أمُّ يزن امرأةٌ حاذقةٌ ولمّاحة.

تعالى صخب الصّديقات بين مصدّقة ومكذّبة.. لكنّ الجميع فعل ما طلبته المضيفة منّا، حتّى أنا..

رحت أتأمّل ملامح الصّديقات وردود أفعالهنّ إزاء ما يُحكى..

قالت أمُّ يزن لإحدانا:

- ثمّة بشائرُ تطوف بمنزلك.. ولكنّها تجد من يعرقلها.

سخرت أخرى معلّقةً:

- لابدّ أنّها حماتك.

قالت للثّانية: أنت تنتظرين فارساً يقدّم لك ورقةً رسميّةً تحتاج توقيعك.

علّقت ثالثةٌ ساخرة:

- لعلّ زوجك ينوي كتابة عَقد البيت باسمك.

قالت لأصغرنا سنّاً:

- بعد إشارتين أو ثلاث، ستحضرين حفلة فرحٍ تسرّك وأنت تتالقين فيها كنجمةٍ ساطعة.

أجابت بتفاؤل وأمل:

- عريس؟!!!.. أرجو ذلك، وسيكون لك حلوان البشرى.

قالت أمٌّ يزن لهذه... وقالت لتلك.... وكان يتخلّل الحديث الشائق ضحكاتٌ عالية، وتعليقاتٌ ساخرة، أمنياتٌ مرجوّة ودعوات مأمولة... إلى أن حان دوري..

ضحك الجميع، وازداد صخبهنّ، وقلن بصوتٍ واحدٍ مشتَركٍ تقريباً : - هيّا يا لبنى على كرسيّ الاعتراف.. الآن سنكتشف شخصيّتك الغامضة... وساد سكون متعمّدٌ وصمتٌ محفّز.. تطايرت أفكاري بسرعة البرق... هل أنا غامضة فعلاً؟! ألأنّني أكثرهنّ صمتاً وأقلّهن ثرثرة؟! ألأنّني أغلق قلبي على ما فيه وأخبّئ أسراره في داخله ؟! أينبغي أن تنزف جراحي أمام عيون الآخرين؟! أأكون غامضةً إذا لم أكن بوق إعلانٍ يوميّ؟! وانتابتني رعشة خوفٍ... ذلك، أنّي أوقن بوجود من منحهم الخالق قدراتٍ خارقةً يتميّزون بها عن غيرهم من النّاس العاديّين، كقارئ أفكارٍ مثلاً، وصاحب فِراسة، وذي وعيٍّ حسيّ حدسيّ متطوّر... لا شكّ أنّ من يتصدّون لهذا النّوع من المهامّ هم أناس قادرون على اقتناص الذّبذبات النّفسيّة وتأويلها، والتقاط الموجات اللّامرئيّة للمشاعر وتخمينها..

خفق قلبي بقلقٍ، واكتسى وجهي بحمرةِ توجّسٍ، وأنا أرى نظرات أمِّ يزن تكاد تخترقني قبل أن تخترق طلاسم البنّ الجّافّ على جدران فنجان قهوتي.. حاولت أن أتحاشى النّظر إليها لظنّي أنّ العينين هما نافذتا الروح، يُقرأ من خلالهما ما يدور في ذهن

الطرف الآخر.. تعمّدت تجميد أطرافي وجسدي لعلمي أنّ لغة الجسد لمن يتقن فكّ شيفرتها، لغةٌ غير لفظيّةٍ، فضّاحة..

كما توقّفت تماماً عن التّفكير في أيّ موضوعٍ على الإطلاق، حتّى أجعل ساحة أفكاري خاوية، تربك أمَّ يزن في استشعار رغباتي.. أو.. خيباتي..

ابتسمتْ قارئة فنجاني ابتسامة ماكرةً لعوباً.. وكأنّها أدركت تحفّظي الشديد.. رفعت كتفيها بدلالٍ وقالت للصّديقات:

- لا أرى شيئاً مهمّاً يستحقّ الذّكر، هي مجرّد خربشاتٍ وتشابكاتٍ لا معنى لها.. ربّما.. في مرّة قادمة.

أخفيتُ تنهيدةَ مَنْ تخفّف من وطأة أحماله الثّقال، وتشاغلتُ بلملمة الفناجين المبعثرة فوق الطاولات الصّغيرة إيذاناً بانتهاء الزّيارة.. كان الأمر مختلفاً حقّاً بالنسبة إليّ.. إذ يحدث أن نتوق إلى من يفهمنا دون شرح.. إلى من يقرأ ما بين سطورنا.. إلى من يلامس جوانبنا الخفيّة.. يحدث أن نرغب باستشراف غيوبِ طالعنا، وغوامضِ أقدارنا، وخفايا حظوظنا.. وتبقى الأمنيات معلّقةً كشرائط ملوّنةٍ فوق غصنٍ تلاعبه الريح القادمة من

بعيد.. يبقى التّشوّف هاجساً يراودنا كي نحسن استقبال نبوءات غدنا..

حين نهضنا للمغادرة، اقتربت أمُّ يزن منّي، وهمست في أذني:

- أنت امرأة عاشقة.

# لعبة الاختفاء

واحد.. اثنان.. ثلاثة.... وأواصل العدّ حتّى العشرة، مغمضة العينين، لأترك لك فرصة الاختباء كما تريد.. ثمّ.. أبدأ رحلة البحث عنك... أناديك.. وأتغافل عن وجودك خلف ستارة النّافذة، ترمق العابرين.. وأتجاهل رؤيةَ قدميك تختبئان في زاوية المطبخ.. أراك في كلّ مكانٍ، ثمّ أُعرب عن فشلي في اكتشاف موقعك الخطير، لأجعلك تعاود الاختباء، منتصراً.. مزهوّاً.. وأعاود عدّ الخاسرين، مرّةً إثر مرّة..

وتستمرّ اللّعبة.. ترمقني بذكاء المغترّ وتقول لي :

- أنت تخسرين دائمًا، ولا تتقنين لعبة الاختباء....

وأبتسم، دون أن أخبرك أنّي لو تركت لك فرصة العدّ إلى عشرة، فإنّي سأختبئ في جيب قميصك العلويّ، أو تحت نظّارة القراءة خاصّتك... سأختبئ ربّما بين مداد قلمك وبين رعشة أصابعك التي تكتب.. سأختبئ عند خفقٍ يتصاخب في صدرك

الأيسر، وفي تنهيدةٍ تُطلقها عندما يُجهدك الشغب.. سأختبئ لديك وفي قرارك المتعب..

سأختبئ طويلاً.. طويلاً.. بمهارة شغفي.. إلى حدّ الاختفاء..

إلى أن تفقدني.. ولا تعثر عليَّ أبداً بعد ذلك.

# هواجس غراب

نحن معشر الغربان أمّة منظّمة، تحكمها قوانين وأعراف، وفي مجتمعاتنا تسود عدالةٌ، ويهيمن تشريعٌ، وينصاع الفرد بطواعيّة لإجراءات الكلّ.. ويكفينا من الفخر أنّ أوّل معلّمٍ للبشريّة كان من أبناء جنسنا.. حيث علّم الغراب الأكبر ابن آدم الغادر كيف يدفن أخاه المغدور، وكيف يواري سوءته.

أمّا أنا.. فذلك الطائر المهووس، الذي انطوت جوانحه على كثيرٍ من الهمّ والوجد... كنتُ دائماً أتهادى معجباً بلونِ ريشي الأسود الجميل، الذي يخالطه أحياناً الرماديُّ الصّافي في ناحية الصّدر..

وكنت إذا بدا لي أن أستخدم قائمتيَّ في المشي، فإنّي أسير متبختراً مرفوع الرأس، أرمق بني البشر الذين يتسارعون ويتسابقون إلى اغتنام الحياة..

كنت أطير فوق الأشجار ثمّ أحطّ بلطفٍ على الأغصان العالية، وأنا أصيح بصوتي المميّز الأجشّ:

- غاق... غاق... غاق..

أنا لا أدري لِمَ ألصق النّاس باسمي تهمة البين، رغم أنّي أمقت الفِراق، وأميل إلى التقرّب من أقراني، وإلى الأنس بمحبوباتي، وإلى التّمتّع بما يلذّ لي..

أنا لا أحبّ الوحدة أبداً..

ولا أقترف الانعزال عن الرفاق، ولا أخشى الاقتراب من الأشخاص المتنزّهين في الحدائق أو المارّين في الشوارع.. لكن مغبّة الاقتراب من النّاس كانت مؤلمة، هذه المرّة....

لقد سمعتهما يتحاوران.. كانت تقول له:

- أتسمع هديل هذه الحمامة، كأنّه نَوحٌ رقيق، تشكو حالها من خلاله.. يا الله.. ما ألطف صوتَها المترقرق من حنجرتها، يتهدّج برتابةٍ مفعمةٍ بالرقة..

أجاب رجلُها بتعاطفٍ واضحٍ:

- هل تحبّين أن أصنع لك في شرفة منزلنا برج حمامٍ صغير؟ ستسرّين بالاستماع إلى صوتها متى شئتِ..

- أوه.. حقّاً؟! جميلٌ أن أمتلك زوجين من الحمام.. شكراً حبيبي.. أرجوك.. أريدهما أبيضين كالثّلج.

" أبيضان ؟!!!!! آهٍ ثمّ آه.. إنّ اللون الأبيض هو غريمي الأزليّ" وهنا.. صرختُ صرخة ألمٍ وانكسارٍ.. صرخت بحزنٍ موجوعٍ :

- غاق... غاق...

فإذا بالمرأة تشمئزّ قائلةً:

- ما أقبح صوتَ الغراب.. أنا أتشاءم عند سماعه.. أين منه الهديل العذب الرقيق.

ابتلعتُ غصّةً حقيقيّةً، غاصت إلى قعر فؤادي.. طأطأت رأسي حزناً متشاغلاً بالبحث عن الطعام في أديم الأرض، ورحت أبتعد عنهما ما استطعت، حاملاً جرح كرامتي، وأسايَ العميق.

بعد حين قصيرٍ جمعتني الأقدار برَفِّ حمامٍ، فلمعت في ذهني فكرة غريبة، اقتربت منها، واختلطت بها، ودخلت فيما بينها، وقد امتلأت عزماً أن أقلّد صوت الهديل، مستجدياً بذلك حبّ

تلك المرأة المتغطرسة وأمثالها، ممّن يتشاءمون منّي ويكرهون صوتي..

سخرت منّي الطيور.. وتعالت أصواتها بصخبٍ متداخلٍ، أعياني وشتّت تركيزي..

أردت تقليدها.. وفتحت منقاري لأجاريها..

فوجدتُني أصيح.. " غاق.. غاق.. ".. وباءت كلّ محاولاتي بالإخفاق في طلب الحبّ من البشر..

اعتراني قهرٌ يائسٌ إلى أن رأيت تلك الفتاة المختلفة.. كانت عيناها تلتمعان وهي تحدّق بي.. كان ثمّة حبٌّ يُطلّ منهما.. حبٌّ أغراني أن أطير إلى جوارها، وأحطَّ قريباً منها... ولم يخب ظنّي....

اقتربت بحياء المتودّد، فسمعتها تقول لصديقتها:

- أتصدّقين أنّي أحبّ الغراب، وأتفاءل بصوته؟!!

- حقّاً ؟!.. يا لك من أفلاطونيّة الحبّ!!

- لِمَ لا.. أنا أحبّ أناقة سواده، أحبّ نبرته الغريبة البربريّة.. أنا أراه جميلاً حقّاً.

هزّني اعترافها الشهيُّ الطازج، وملأتني نشوة المحبوب وغرورُه، فرفرفت حولها جذلان فرحاً، متعمّداً إرضاءها، متصنّعاً الرقّة والدّماثة، وكلّي يهتف ممتنّاً:

- بل أنتِ الجميلة سيّدتي.

# لوحة رقصة الطاووس

في معرِضِ الحيوانات المتجوّل الذي أُقيم في بلدتي هذا العام، كنت أتجوّل بين أقفاصه متأمّلاً حيواناته التي استُقدمت من كلّ أنحاء العالم.. رحت ألتقط لها صوراً في وضعيّاتٍ مختلفةٍ، خاصّةٍ، متوخّياً فيها الغرابة والطرافة، وفي نيّتي استنساخها وتحويرها إلى لوحاتٍ فنّيّةٍ أتقدّم بها إلى مسابقة الرسم الدّوليّة.... كنت أُزمع أن أرسم شيئاً مختلفاً.. شيئاً يمازج بين عناصر ثقافيّةٍ متباينةٍ في لوحةٍ واحدة، فيؤلّف بين صورة الكائن وحركته المميّزة، وبين البعد النّفسيّ الجميل لتكوينه الخاصّ واللّون الموحي لدلالات معانيه.

تنقّلت هنا وهناك، والتقطت الكثير من الصّور، وشاركت العديد من الأشخاص في مراقبة الأقفاص وما فيها، دون أن أستلهم موضوعاً محدّداً للوحاتي، إلى أن وصلنا إلى قفص الطاووس. فوقفنا منبهرين أمام هذا الطائر الملكيّ، نتأمّل استعراضه لريشه الفاغم، الباذخ الجمال.. رأى الحارس الموكّل

برعايته انبهار النّاس به، فأثاره بحركةٍ استفزازيّةٍ جعلته يزعق بصوتٍ يشبه زعقة الأشباح..

تساءلت في نفسي " ماذا لو كان صوته جميلاً ؟!!! هل يبلغ حدّ الكمال في الجمال؟!! أم أنّ السنّة الكونيّة هي النّقصان الذي يعتري كلّ الأشياء والكائنات في هذا الوجود ؟! "

انفضّت العيون التي كانت ترمقه، بعد وقفةٍ طالت أو قصرت، ولبثت وحدي أحدّق فيه مليّاً، وهو يستعرض جمال ذيله بغرورٍ واضحٍ، ويتباهى بفرادة شكله وتميّزه.. ومرّ الوقت دون أن أشعر وأنا جالسٌ قبالة قفص الطاووس، أعايش أفكاري المتدفّقة وخواطري الجيّاشة، وتساؤلاتي المثارة.....

لملم الطاووس الريش وسحبه خلفه كعروسٍ تسحب ذيل فستان زفافها، وقد بدا طويلاً جدّاً، ثمّ عاود نفشه كمروحة يدويةٍ مزركشة.. سألت الحارس:

- كم يبلغ طول الذّيل؟

أجابني وهو يرمي له طعامه:

- خمسة أضعاف طول جسمه.

كان الرقم مثيراً لمخيّلتي إلى حدّ بعيد.. تقافزت أفكاري بحيويّةٍ وصخب .. " مَنْ منّا يستطيع رفعَ أو نشرَ خمسةِ أضعاف طوله أو وزنه؟! يا لِلقدرات الجسديّة المحدودة للإنسان وحواسّه، في مقابل قدراتٍ استثنائيّة خاصّة تمتاز بها كثيرٌ من المخلوقات على وجه الأرض!.. ترى هل أملك أنا من الميّزات ما يمكّنني من أن أتيه، وأتفاخر على من حولي؟! أم أنّ المتفاخرين عادة ما يكونون طبولاً فارغة؟! ألا يكون مقدارُ الأثر، الذي يتركه المرء وراءه، كمّاً ونوعاً، هو مدعاةَ فخرٍ حقيقيّ، لا مباهاة فيه؟! ترى.. كم من الطواويس البشريّة التي تتعدّد مظاهر انتفاخ الأنا لديهم، تعيش بيننا؟!".....عدت إلى مرسمي أحمل في رأسي ضجيجاً ودوّاماتٍ.. سارعت إلى النّتّ لأكمل تجوالي في عوالم الطاووس.. وجدته رمز القوّة الأسطوريّة في العديد من الثّقافات المختلفة في العالم، وهو أحد مظاهر طائر الفينيق الأسطوريّ.. قرأت أيضاً أنّ ما يخلق الألوان الفلوريّة في ريش الطاووس هو وجود بلّورات الكريستال المجهريّ التي تعكس الأطوال الموجيّة المختلفة للأضواء، لكنّني.. حين أردت أن أرسم لوحة الطاووس

أمسكت أقلام الفحم السوداء، متعمّداً أن أطفئ وهج الغرور والبهرجة في ذيله المنفوش.. أتقنت نقل تفاصيل الجمال في ريشه البديع، وجعلته متناعماً مع إيحاء حركةٍ راقصةٍ أنيقةٍ توحي بالرشاقة والكبرياء.. أمّا رأس هذا الطائر المزهو فقد رسمته بانحناءةٍ تنمّ عن تواضعٍ مقصودٍ متكلّف..

حرّفتُ كثيراً في الصّورة الفوتوغرافيّة الملتقطة له في المعرض، وأضفت لها من روحي لمساتٍ، ذات أبعادٍ عميقةٍ، تجاوبت في أعماقي.. حمّلتها كلّ أفكاري وتساؤلاتي، وأرسلتها للمشاركة في المسابقة.. فهل تراها تفوز؟!.

# وضعٌ خاصّ

ظلمت الحرب كلّ النّاس، ظلماً متفاوتاً في مدى فداحته وتأثيره وعواقبه.. وتستمرّ بالظّلم أنّى حلّتْ وأنّى انتشرت.. لكنّها ظلمت معتزّ أكثر من غيره، وذلك بلغمٌ غادرٌ اقتطع إحدى ساقيه قبيل حفل زفافه بشهرٍ واحد..

قرّر أهل العروس احتجاز ابنتهم، وإلغاء جميع الاتّفاقات والتّرتيبات التي تمّت بين الأسرتين.. وسارعوا إلى تزويجها من قريبٍ لهم إمعاناً في قطع العلاقة تماماً وإنهائها على نحوٍ أبديّ.

عاد معتزّ وحيداً، وقد غابت عن دنياه أحلامٌ زاهيةٌ كانت تغمر حياته بالدّفء وهي قاب قوسين أو أدنى من التّحقّق.... حين تماثل للشّفاء، صارت له مشية العاجز الذي يعتمد على حاملٍ مساعدٍ يضعه تحت إبطه.

خرج إلى الطريق لأوّل مرّة بعد إصابته، وساقتْه قدمه الصّحيحة بمساعدة الحامل الخشبيّ إلى أماكن اللّقاء التي اعتاد زيارتها مع حبيبته الراحلة.. طفرت من عينيه دمعة حارّة،

فالتقطها قبل أن تسيل فوق خدّه.. " هل مازال يحبّها؟؟!! " اعتصره السؤال وهو يعلم أنّها قد خرجت تماماً، منذ مدّةٍ، من مدارات حياته كلّها وإلى الأبد، وغابت مثل نجمٍ بعيدٍ إلى حافة الكون.. لم تعد تخصّه، ولم يعد يعني لها شيئاً.

أطرق حزيناً وهو يردّد " الحياة ستستمرّ ".. ولكن كيف؟! و كلّ المعطيات الجديدة لوضعه الخاصّ ستضعه في مواجهةٍ مريرةٍ مع مجتمعٍ معتوهٍ.. يحبّ الجميلين والأثرياء.. فقط. بل إنّ أصحاب الشهادات العلميّة العالية، أو المتديّنين، فهم في مراتبَ قبولٍ متواضعة إذا ما قيست بأولئك.. الثّريّ الوسيم تنفتح له الأبواب المغلقة، وتقدّم له التّنازلات المغرية، ولا يردّ له طلب.

كان قلبه عاشقاً للمرأة التي كادت أن تصير زوجه، والتي خطبها بعد حبٍّ من طرفٍ واحدٍ دام سنوات، وها هي تغيب كموجةٍ في أعماق المحيط.

صارع حزنه الضّاري، وتجلّد بكلّ ما آتاه الله من عونٍ واصطبار، وعاد إلى نفسه يردّد " الحياة ستستمرّ ".. آنس في داخله عزيمةً لا تقبل الهزيمة، فمن أين سيبدأ وإلى أيّ اتّجاهٍ سيتجه؟! إنّه

شابٌّ طافحٌ بالعنفوان والعاطفة المتّقدة.. الحبّ يناديه.. والفراغ العاطفيّ يملأ وجدانه الفتيّ.. الحبّ يناديه، ليزركش مشاعره بومضاتٍ من الفرح والنّشوة، ولينقله إلى غابات أُنسٍ مع نصفٍ حلوٍ.. آخر.

أخبره أحد أصدقائه المخلصين.. أنّه يستطيع أن يخطب فتاةً لها وضعٌ خاصٌّ.. خاصٌّ مثله.. يتساويان، فلا يعيّر أحدهما الآخر، بل يشتركان في مصابين جائرين، مختلفين ربّما، فيقتسمان بؤساً ويتجرّعان أسى، ويبقيان في حدود نقصهما فردين من ذوي الاحتياجات الخاصّة.. تعاظم حزنه، وضاقت عليه الأرض على رحبها، فجميلته الهاربة على دروب المستحيل.. كانت ملء العين والقلب.. والآن.. أيّ وضعٍ خاصٍّ لفتاةٍ، يُقدم عليه ويتوخّى لديه القبول.. عرجاء، عمياء، شوهاء، بلهاء؟!!!!!! أيّ وضعٍ سيوازن عاهته، ويكون نظيره في كفّة الميزان الأخرى؟!! هل سيتبادلان حبّاً مشوَّهاً أم نقيّاً رائعاً؟ هل سيرتبط الحبّ بحالتهما الجسديّة النّاقصة أم سيكون متسامياً كحبّ الروح للرّوح؟ هل يحدث أن تحبّ امرأةٌ كاملةٌ رجلاً ناقصاً ؟! وهل تستطيع الارتباط به رغم كلّ تحذيرات أبناء مجتمعها الظّالم

والنّرجسيّ؟!! هل سيجد امرأة كحبيبته، ملءَ العين والقلب، تتجاهل وتتحدّى نظرة الآخرين التّعسفيّة وتلقي بها في عُرض الحائط، ثمّ تمدّ له يداً لتكمل معه مشوار حياته؟!. تنامت هواجسه واستشرت، وظلّت تلاحقه أنّى ذهب..

كان يقف بين جموع النّاس، وحين توقّفت الحافلة، أفسح له الجميع طريق الصّعود إليها.. مراعين وضعه الخاصّ.

# خلف كلّ جمال

في ليلةٍ صيفيّةٍ قائظةٍ، قرّرت وزوجتي أن نعتليَ سطح بيتنا، ونمدَّ بساطاً خفيفاً، كي نتمدّد فوقه، طلباً للتّبرّد والاسترخاء.. كان القمر بدراً ممّا أضفى على سهرتنا طعم شاعريّةٍ رائقةٍ.. قلت لزوجتي مغتنماً الفرصة:

- اللّيلة، أنا محظوظٌ بقمرين، أحدهما إلى جواري.. ليتني كنت شاعراً فأُسهب.

تبسّمت عيناها وهي تقدّم لي فنجاناً من القهوة الفاخرة، وقالت بغنجٍ ودلالٍ:

- أنا أجمل من البدر.

سارعت إلى تدارك أمري وقلت:

- دون شكٍّ حبيبتي.. هذا من باب المجاز فحسب.

أجابتني وقد عقدت العزم أن تحوّل سهرتنا إلى جلسةٍ فلسفيّةٍ علميّة:

- ألم تخبرني ذات يومٍ أنّ سطح القمر صخريٌّ أجردُ بائس.. وأنّ درجة الحرارة فيه تبلغ نهاراً أكثر من ١٢٧ درجة مئويّة، وتبلغ ليلاً -١٧٣ تحت الصّفر؟

- نعم.. لكنّ هذا لا يمنعنا من رؤية جماله يشعّ نوراً فضّيّاً، يكسر حدّة اللّيل المظلم.. تماماً، مثل هذا الفضاء المتخم بالنّجوم والكواكب والأجرام السماويّة، إنّ السماء فيه تبدو كنسيجٍ مرصّعٍ باللّآلئ الوهّاجة، والألماسات البرّاقة، وخلف هذا الجمال يقبع جحيمٌ فيزيائيّ، تحكمه أرقامٌ فلكيّةٌ، من الأبعاد، والحرارة المرتفعة جدّاً والمنخفضة جدّاً.

- أتدري يا زوجي العزيز.. أنا أرى أنّ خلف كلّ جمالٍ قصّةٌ أخرى، قصّةٌ تروى..... يلزمنا لتلمّسها وإدراكها، الإلمام بأنواعٍ مختلفةٍ من المعارف.

- بالضّبط تماماً.. لقد أصبتِ كبد الحقيقة.

قلت جملتي هذه وأنا أطمع في إنهاء سجالنا هذا، لكنّ زوجتي تجاهلت ما أرمي إليه، وهي اللّماحة كما أعرفها، وأضافت:

- الجلد البشريّ الفاتن، بتكويناته المتناسقة وألوانه الجذّابة، مثلاً.. يُخفي تحته أجهزةً كاملةً من أعضاء البدن، وشبكةً معقّدةً من الأعصاب والشرايين والعضلات... ولو كان الجلد شفّافاً، لما استطعنا النّظر في وجوهنا.. تخيّلْ هذا المنظر.

فتح الحديث شهيّتي للمزيد من المداخلات والتّعليقات فقلت:

- هي نعمةٌ إذاً أن يكون الجمال قادراً على إخفاء القبح.. مثل بساط المرجِ الأخضر البديع الذي ترتاح العين في استجلائه والنّظر إليه، بينما تجدين في تضاعيفه ملايين الحشرات والدّيدان والأحياء الكريهة.

تعدّدت إيماءات وجه شريكتي، فأنا أعلم كم تتقزّز من عالم الحشرات، وكم ضرَبَ هذا المثال على وترٍ حسّاسٍ لديها، لكنّها عاودت رباطة جأشها وانهمرت رذاذاً عذباً في تداعيات أفكارها.. قالت بشكلٍ مباغتٍ ممزوجٍ بشيءٍ من المرح:

- ضربتَ مثالاً قويّاً، سأحسبه لك نقطةً في سجالنا، وأنا الآن سأسألك سؤالاً هامّاً " ألا يخفي الحبّ الجميل، أحياناً، مقداراً كبيراً من المشاعر الرديئة؟

- الحبّ، والمشاعر الرديئة؟!!.. مثل ماذا؟

- نعم.. الغيرة القاتلة، الساديّة، التعسّف في طلب الحقّ، التّملّك الأنانيّة، ال....

- كفى.. كفى حبيبتي.. صحيحٌ ما تقولين، ولكن دعي صورة الحبّ جميلة.. أعترف لك بنقطتين.. بثلاثة.. بأكثر.

ازدادت زوجتي خفراً وقد اعتلتها نشوة الفوز.. قالت وهي ترفع كتفيها مبتسمةً، متباهيةً:

- لا تستلم سريعاً، أين روح المحارب؟! أنت عوّدتني على طول النّفَس في الحوارات.. أولست أنت من أخبرتني عن أسطورة القبح والجمال، التي كتبها جبران خليل جبران، والتي تذكر أنّ الجمال والقبح التقيا ذات يومٍ على شاطئ البحر، واتّفقا أن يسبحا معاً، فخلعا ملابسهما، وخاضا العباب، وبعد برهةٍ عاد القبح إلى الشاطئ وارتدى ملابس الجمال، ومضى في سبيله، وحين رجع الجمال من البحر، لم يجد لباسه، وخجل أن يراه النّاس عارياً، فلبس لباس القبح ومضى.

- بلى.. ولهذا عزيزتي.. ولأنّهما تداخلا.. كثيراً، وطويلاً، أحدهما بلباس الآخر.. أرغب اليوم أن أكون بروح الشاعر، الذي تستغرقه تفاصيل الجمال الظّاهر، النّابض، فيحلّق في فضاءاته وأفلاكه، حرّاً مقداماً دون قيود.. أو بروح الفنّان، الذي تلهمه ومضات الألوان، وتستوقفه ثرثرات الأشياء، فيستجيب لندائها واهتزازاتها، ويُطلق ريشته في مضمار لوحاته.

أجابت زوجتي مستسلمةً وراغبةً في التّحوّل إلى الصّمت الجميل:

- غلبتني يا شاعري.. غلبتني، وبرهنت أنّك القصّة الأجمل والأروع في جمال علاقتنا.

# حكاية يزن

في زيارةٍ عابرةٍ لبيت أخت صديقتي، تملّكتني دهشةٌ حقيقيّةٌ، سارعت إلى تدوينها في سطورٍ مفعمةٍ بالتّساؤل والاستغراب..

كان ابنها يزن ذو الأعوام الثّلاثة يحمل سيّارته الحمراء الصّغيرة ليجعلها تسير فوق كلّ شيءٍ، ببطءٍ تارةً، وبسرعةٍ تارةً أخرى.. اقترب منّي دون خجلٍ، وأنا ضيفةٌ غريبةٌ أزور والدته للمرّة الأولى، وقال لي معتزّاً بملكيّتها:

- أنا يزن، هذه سيّارتي.

وأردت مداعبته والاستجابة لرغبته في التّحدّث:

- سيّارة حلوة جدّاً يا يزن.

فاجأني بإجابةٍ فجّةٍ غير متوقّعة:

- ليست حلوة، ليست حلوة، إنّها تميت النّاس.

تجاهلت الكلمة وفي نيّتي تغيير دفّة الحديث كما أشاء، وقلت له لأضيف لديه معاني أخرى:

- أنا أحبّ السيّارة لأنّها تأخذنا إلى النّزهة، وإلى الـ...

قاطعني قبل أن أكمل، وهو يمرّرها فوق أصابع إحدى يديه، وقال بتأكيدٍ واضح:

- إنّها تدوس على الأرجل والأيدي.. هكذا... إنّها تُميت النّاس.

تبادلنا النّظرات أنا وخالته التي كانت تجلس إلى جواري مصغيةً إلى حوارنا، وشاءت أن تتدخّل لتذكّر يزن بأشياء أخرى، لعلّه يحبّها، أو يرضخ لها، متوخّيةً ثنيه عن إصراره:

- في السيّارة يركب جدّك ويذهب إلى السوق ليشتري لك ألعابك، وتركب جدّتك حين نذهب بها إلى الطبيب، ويأتي بابا فيها محمّلاً بالطعام والملابس الجديدة.

بدا لي مصغياً.. لكنّه أجابها معترضاً وبشدّة:

- لا .... إنّها تُميت النّاس.

أصرّت الخالة على المعنى الجميل، المحبّب، وأضافت:

- إنّها تخدمنا في كلّ شيءٍ طيّب، وسنذهب بها إلى الجنّة.

وهنا فوجئنا بيزن يغادر الغرفة فوراً، ليمدّ رأسه من وراء الباب قائلاً بإصرارٍ رافضٍ، وتحدٍّ غريبٍ:

- لا يوجد جنّة... لا يوجد جنّة.

ولأوّل مرّةٍ أُعيد النّظر إلى ملامح هذا الطفل الصّغير جدّاً، باحثةً، مستفسرةً، متفحّصةً.. أحاول التقاط ما يعينني على الفهم، وما يزيل دهشتي وعجبي..

تلمّست ببصري المتفحّص، وجهه.. عينيه.. حركات شفتيه..... ترى هل هي خطوطٌ من البراءة الطفوليّة قد اغتصِبتْ حين اصطدمت بمشاهد من العنف، والسرعات الجنونيّة، يُمطرنا بها التّلفاز، هذا الجهاز الخطر الذي نقتنيه في بيوتنا، ونترك

لسطوته أن تحوّر وتشكّل عقول مشاهديه كباراً وصغاراً؟! ترى هل هي صورةٌ مؤلمةٌ مطبوعةٌ في الذّاكرة لحادثٍ حقيقيٍ أودى بحياة أحدهم على مرأى ومسمع يزن؟! هل هو تمرّدٌ مبكّرٌ على الطاعة، ورفضٌ مسبقٌ للقوانين، وإنكارٌ مقصودٌ لكلّ ما لا تراه العين، ولا تطاله الحواسّ؟!! هل هو مجرّدٌ عبثٍ فارغٍ لا يحتمل أيّة تفسيراتٍ، ولا يحمل أيّة مدلولات؟! هل تمتلئ ساحات عقل يزن بشيءٍ ما، استدعاه أن يقول ما قال، أو أنّه مجرّد ارتجالٍ فوضويٍ لا نسق له؟!!!!! حرت بين أسئلتي وإشارات الاستفهام التّي تقافزت في فضاء نفسي كقطرات زيتٍ ساخنٍ أصابها ماءٌ بارد...

واصطدمتُ بحقيقةٍ واحدةٍ هي عجزي عن مجاراة يزن أو فهمه، لذت بالصّمت متألّمةً، وانتظرت أمّه حتّى تدلف إليّ بفنجان قهوتي لأبادرها قائلةً دون تردّد:

- لطفلك هذا شأنٌ خاصٌّ جدّاً، ولن تكوني أمّاً عاديّةً أبداً عند تربيته، والتّعامل معه، وإنّ فهمك لقوانين النّفس والعقل

والروح فهماً واعياً لهو الدّور الهامّ الذي ينبغي عليك إتقانه واكتساب المهارة الدّقيقة فيه.. عزيزتي إنّ طفلك هذا ليس طفلاً عاديّاً، وله من الجرأة، والاعتداد بنفسه، والعناد، ما يفوق عمره بسنوات وسنوات.. أرجوك، ترفّقي به، واستعدّي له.

غادرت منزل أخت صديقتي، لأجد الكثير والكثير من أمثال يزن في واقع مجتمعنا الحاليّ، وقد صنّعته يد الإعلام الغريب، العنيف، الفاسد.

# قناديل الخريف

مع كلّ نسمةٍ هوجاء، باردةٍ، تتساقط أوراق الشجر الصّفراء اليابسة، التي فقدت وثاق اتّصالها بأمّها الطبيعة مذ فقدت نضارة خلاياها وماء عروقها، وبقيت معلّقةً على شفا سقوطٍ مائتٍ تلفظه بسهولةٍ أيّام الخريف.

كان مطيع يمشي في ممرّات الحديقة العامّة، يتنسّم رطوبة الجوّ ، ويستمتع بهبوب الريح الخريفيّة، التي تَمسحُ وهج حَرٍّ استبدّ بالأنحاء طيلة صيفٍ قائظٍ، وتُراقصُ في عناقٍ لطيفٍ برودةً تمشي على استحياءٍ قبيل قدوم الشتاء، و تتلاعبُ بالأوراق الهشّة الجافّة، فترفعها تارة وتذروها تارةً أخرى.. توقّف مطيع، وعلى أقرب مقعدٍ خالٍ جلس يستجمع قواه بعد مسيرٍ طويلٍ وراح يبحر في هذا الطقس الباهت.. وقد استثارت وجدانه الألوان الراحلة إلى زمن الشحوب، صفراء قاتمة، وبرتقاليّة

شاحبة، وحمراء متكدّرة ، وكأنّها قوافل من الحيوات تُستدرج إلى الفناء..

تأمّل ما حوله من طبيعةٍ تتنازل عن صخب غليانها الصّيفيّ شيئاً فشيئاً، لتسلّم نسيج الكائنات إلى سباتٍ شتويّ قارسٍ ، وكأنّها تسلّم مفاتيح الحيويّة والتّوهّج إلى قرصان الصّمت الثّقيل..

ولو شُبّه العمر بمقدار عامٍ كاملٍ.. لكان الربيع طفولةً عابثةً وصبا وقّاد، ولكان الصّيف نضج الاتزان والعطاء وقمّة النّشاط والمتع، إلى أن يأتي الخريف، فتذوي لديه نضارة الجلد، وإشراقة الجسد، وكأنّه يعمد إلى وثائق الإنسان ومكوّناته، من عقلٍ وجسدٍ وقلبٍ وروح، فيطويها بعشوائيّة الملول وضجر المرتاب، ويقفز بها إلى حافّة العدم، ثمّ يدفنها تحت صقيع النّهايات الباردة في الشتاء..

أتراه سينتهي مثل أوراق الخريف الهشّة اليابسة، تتقاذفها ريحٌ جهولٌ، وتذروها في كلّ اتّجاهٍ.. محطّمةً.. متلاشية.

تثاقلت سنون مطيع وقد حطّت به في فِناء التّقاعد..

أغلقت الشركات والمؤسّسات العامّة أبوابها في وجهه الطموح، حين حدّدت سنّ الإحالة على التّقاعد، لتفسح المجال لأجيالٍ شابّةٍ، قادمةٍ، ترغب في اعتلاء المراتب الوظيفيّة.

طرق أبواب الشركات الخاصّة والجمعيّات الأهليّة، فانبرى له الجواب الخجول يؤثِرُ عليه همّة الشباب، ودماءهم الفوّارة، وقدراتهم الفتيّة... ترى ما الذي يمدّ حياته بأسباب الحياة بعد الآن، لا بمجرّد العيش؟!!! وهو الذي مازال يتمسّك بحبال البقاء.

إنّه يقتات في يومه من الغذاء ما يحفظ له بدنه في مدارات الصّحّة والسلامة ، فلا يتعاطى التّدخين والمسكرات، ولا

المشروبات الغازيّة، ولا الوجبات السريعة الجاهزة.. بل يحرص على التّوازن الغذائيّ التّامّ بكلّ عناصره المتنوّعة.

ويمارس رياضة المشي دائماً، والجري أحياناً، في أغلب تنقّلاته من أجل شؤونه الخاصّة..

ومؤخّراً، سمع أنّ التّنفّس الجيّد سببٌ لحياةٍ جيّدةٍ ، فراح يناوب من الشهيق والزّفير أزمنتهما الفعّالة التّي تمدّ خلاياه بالأكسجين الطازج، وتطرح ثاني أكسيد الكربون، وما تحمله معها من سموم البدن، وزفرات التّعب، وتنهيدات المكابدة..

أمّا حاجته للنّوم الصّحيّ، فكان حرصه يُكلّل بساعات نومٍ تعادل ثلث يومه، معترفاً للنّوم بسطوته واقتناصه لثلث العمر، أو ربّما أكثر، محتجِزاً النّاس جميعاً، فوق وسادةٍ وفراشٍ، لا غنى للبشريّة عنهما أبداً، ولو كانا من قشٍّ، أو بساطٍ مهترئٍ، أو ريش نعام.. فيا لضعف الإنسان الذي يقهره اضطرابُ نومٍ، ويؤذي أعصابه أرقٌ، ويؤثّر على صحّته العقليّة سهرٌ طويل..

كان مطيع في إحدى جولاته الرياضيّة الصّباحيّة، يهرول حيناً ويمشي الهوينى حيناً آخر ، وإذ بامرأة تمارس رياضة اليوغا فوق عشب الحديقة، تلفت نظره..

كان يعيش حالة الفراغ العاطفيّ.. بعد أن سافر أولاده الثّلاثة خارج البلاد، وبقي أصغرهم، الرابع، يستعجل سنواته الدّراسيّة الجامعيّة، ليلحق بإخوته فور تخرّجه..

أمّا زوجته فقد كانت أوّل الراحلين عنه، إذ غادرت عائلتها مسرعةً وهم ما يزالون على مدارج طفولتهم المبكّرة، إثر حمّى نفاسٍ شديدةٍ أصابتها بعد ولادة آخر العنقود.. أمّا هو فقد آثر البقاء على شؤون أبنائه، رعايةً، واهتماماً، وقضاء حاجاتٍ، حتّى شبّوا عن الطوق، ورحلوا..

توقّف للحظاتٍ يتأمّل المرأة الساكنة سكون الحجر، وقد فاضت انشراحاً وسكينةً دفعاه للاستئذان منها والاقتراب ، سيّما بعد أن اعتدلت في جلستها تهمّ باستئناف الحياة.

كان يعرف أنّ أولئك الذين يمارسون الرياضات الروحيّة أناس أنقياء عادةً، حريصون على سلامهم الدّاخليّ، يبذلون الجهد لارتقاء درجات الصّفاء، ولاعتلاء مناكب القوّة الروحيّة..

ثمّة جاذبٌ شدّه إلى مجال المرأة الطاقيّ، وكأنّه مغناطيسٌ غامض، فالأرواح المتشابهة تتجاذب، والهالات المتناغمة تتقارب.

كانت تبدو جدّيّة واثقةً وقورة.. سألها بعد إلقاء التّحيّة:

- هل هناك ما يمنع من أن أحادثك لدقائق يا ابنتي ؟

أجابت دون تردّدٍ وقد أحاطت نفسها بوشاحها الرماديّ واتّخذت جلسةً تنمّ عن كمٍّ كبيرٍ من الذوق والاحترام:

- تفضّل.. لديّ وقتٌ قليلٌ أستريح به بعد التّمرين الطويل الذي قمت به.

- حاولتُ تعلّم اليوغا ، لكنّها تحتاج إلى صبرٍ مديدٍ وعزم مستمرّ، لذا فقد آثرت المشي والجري وبعض تمارين التّنفّس الجيّد.

- لا بأس يا سيّد.. فاستطاعات النّاس على الأداء الملتزم لأيّ واجباتٍ أو ممارسات، تكون غالباً متفاوتةً، لكنّك تبدو بخيرٍ على ما أرى، ولا تنقصك العزيمة.

ابتسم موافقاً وممتنّاً:

- الحمد لله، أنا لديّ قناعاتٌ ديناميكيّة ، وروحٌ وثّابة، أقدّر قيمة العمر المحدود المسمّى لنا في الغيب، وأُثري وقتي بكلّ نشاطٍ ومعرفةٍ ممكنة.

- أظنّ أنّك في العقد السادس من العمر، أليس كذلك؟

- أصبتِ، أنا في الخامسة والستّين، أتسمحين لي أن أحزر عمرك؟ أم.....

- لست من النّساء اللواتي يخشين ذكر أعمارهنّ.. منذ أيّامٍ قلائل دخلت عامي الأربعين.. ولكن ماذا يعني هذا؟ العمر إنجاز، وعطاء، وأهداف مرحليّة، وأوقات للحياة ينبغي أن نقضيها مترعةً بالفائدة والمتعة.

- هل تقرأين؟

- طبعاً.. ومن أولى اهتماماتي.

- الكتب معجزاتٌ بشريّةٌ حيّةٌ، وبين دفّتي كتابٍ جيّدٍ، تقبع عوالم ساحرةٌ، تأخذنا إلى كلّ مكان.

- وأكتب أيضاً.

- تكتبين؟!!! ألديك مؤلّفات؟

- أكتب يوميّات أشبه بمذكّراتٍ.. أرصد فيها كلّ جديدٍ يمرّ في حياتي، وأدوّن تجلّيات الأحوال، ونداء الأفكار، ورجع الأصداء.

- إذن، ستكتبين عن رجلٍ مسنٍّ عابرٍ استوقفتْه طاقتك الإيجابيّة، فجاء يمدّ إليك يداً للصّداقة.

- سيسرّ نادينا "قناديل" قبولك عضواً جديداً فيه، فأنت مترعٌ بالتّفاؤل والمبادرة والإقدام، وهي أولى شروط الانتساب.

- تقبلون من هم في خريف العمر؟! إنّ قواهم تنذر بالتّراجع والانكفاء.

- في " قناديل " يجتمع محبّو الحياة، وهو لا يقتصر على عمرٍ بعينه.. نحن نرى أنّه مع تقدّم العمر يخسر المرء جزءاً من حاسّة البصر، لصالح قوّة البصيرة، وتتراجع قواه الجسديّة لصالح قدراته الفكريّة.. ألا تعلم أنّه في فترة العمر من ٦٠ إلى ٨٠ يصبح تفاعل نصفَي الدّماغ الأيمن والأيسر متناغماً، ممّا يوسّع إمكانات الإبداع، ويوصل إلى ذروة النّشاط الفكريّ، ويُكسِب المرونة وحسن القرار.

- نعم .. نعم.. ولأنّ الانخراط في عمل العقل والفكر يمنع روابط الخلايا العصبيّة من الضّمور والاختفاء، فأنا لا أكفّ عن القراءة أبداً.

- بل إنّك تستطيع تعلّم حروف لغةٍ جديدةٍ.. لست أنا من يقول، إنّه العلم الذي درس سنّ الشيخوخة وأثبتَ ذلك في دراساته العلميّة ونتائجها.. أنت تستطيع أن تتعلّم فنوناً جديدةً، وصنع أشياء.

- عندما نكبر تصبح خطواتنا وئيدةً، وتخوننا الوثبات.. لكن.. لابأس من المرح والنّشاط.

- ما المانع من الاهتمام بالحياة، والتّخطيط للمستقبل.

- المستقبل؟!

- نعم.. المستقبل، رغم أمده المجهول.. فمن يدري كم سيعيش!

- أنتِ ذكّرتِني بمقولةٍ نابضةٍ.. "اعزف لحناً سعيداً فيتبعك راقصون سعداء".

- رمزيّة هذا القول تتجلّى في فكرة أنّك تجذب إليك المتفائلين المرحين، إن بدوت كذلك.

- هل هذا ما يفسّر انجذابي إليك صديقتي، اسمحي لي أن أقول صديقتي.

باعد مطيع بين كفّيّه مبتسماً وقال مستدركاً:

- ربع قرنٍ من الزّمان، فقط، هو ما يفصل بين عمرينا.. أنا أحبّ اكتساب الأصدقاء الجدد، وأحافظ على القدماء منهم.

- وأنا أحتفظ بأصدقاء من كلّ الأعمار، حسّون ابن جيراني عمره تسع سنوات، ونحن نمارس الرياضة معاً في كثيرٍ من الأحيان.. وفي نادينا أصدقاء يافعون، ومسنّون، وشباب من كلّ المراحل العمريّة.. أعتقد أنّك ستجد ما يملأ فراغ أيّامك، ويزيل كآبتها، وستلتقي بأناس جددٍ، يبدؤون الحياة في كلّ صباح يومٍ ،

وكأنّهم يولدون من جديد، مهما تباعدت أزمنة ولاداتهم البيولوجيّة.

- رائعٌ ما تقولين، إذن سيكون لنا لقاءات أخرى.

ابتسمت المرأة ابتسامة تفيض بهناءٍ عميقٍ، فازدادت جمالاً، وسرت عدوى الابتسام إلى مطيع، الذي شعر بفيوضاتٍ من الضّوء تغزو أعماقه، وتستلّ برودتها.. الابتسامة، هذه اللّفتة البسيطة التي تملك أثر الفراشة، وتصنع طوفاناتٍ من الضّياء في أنحاء الروح والجسد، لا تستغرق من الوقت شيئاً، ولا تكلّف المرء جهداً، لكنّها تكون سفيرة ودٍّ وعربون ألفة..

تبادل مطيع والمرأة معرفة اسميهما بعد حديث طويلٍ شائقٍ، واتّفقا على انضمام مطيع لنادي " قناديل "..

عاد إلى منزله في ذلك اليوم مشحوناً بطاقةٍ غريبةٍ، ضخّت دماء الحيويّة في عروقه، وبثّتْ في جوانحه إشراقات ملوّنة، وفتحت مسامعه على أنغام فرحٍ رقيق.. وهو الذي يمارس حياته بمتعةٍ

حقيقيّةٍ، رغم كلّ ما فيها من متاعب، وأشجان، وفواقد، لكنّه اليوم يكتشف طعوماً رائعةً أخرى، وأشياء جديدةً قادمةً من حاضر الزّمان....

ثمّة قناديلٌ، تضيء الطريق فجأةً، وتعبر بأضوائها إلى كهوف النّفس لتبدّد العتمة، أو لتضيف الألق، أو لتكون نغَماً جديداً في معزوفة الأيّام.. ثمّة قناديلٌ أضاءت ليل خريفه المهزوم، لتطلقه أسطورة فينيق متمرّد.

# زُحل.. صديقي

استشرت مهنة المنجّمين وصارت مهنة كلّ من يجيد حذلقة الكلام، وتنميقه، وإنماءه، كما ترافق ذلك بوجود من يؤمن بتوقّعات الأبراج وتخرّصاتها، ولست منهم على أيّة حال، حيث يستبدّ القلق بالمهووسين منهم على ما تحمله لهم النّبوءات الغامضة أو الصّريحة، من احتمالات واردة الحدوث، وأوهام يعشّش فيها الظّنّ المبتور، وبعض الظّنّ إثم.

لم يكن في حسباني أن ألتقي يوماً بأحدهم، كما لم يكن في نيّتي المغامرة في الخوض في غيوبهم المزيّفة، وهرطقاتهم المحمومة، وسرابهم المزعوم.. لكنّ مصادفةً جمعتني به دون طلبٍ منّي لذلك، وراح بعض الأصدقاء يستنطقونه حظوظهم المجهولة المغيّبة، ويستشرفون قريب غدهم، وبعيد أقدارهم، فيذكرون أبراج ولاداتهم، ويتحمّسون لمعرفة حديث النّجوم عنها وعنهم.....

وصار للحديث نكهة الفضول، والمراوغة....

حين أخبرته عن شهر مولدي، نظر في خريطة السماء الموجودة في جوّاله.. تفقّد الأبراج والنّجوم والكواكب، حرّكها يمنة ويسرة، وإلى أعلى الشاشة وأسفلها، دقّق، ومحّص، ثمّ هزّ رأسه مغتمّاً وقال لي وكأنّه يأنف من إزعاجي:

- سيظلّ كوكب زحل في برجك مستوطناً هذا العام .

أجبته بمرحٍ ظاهرٍ:

- يا أهلاً بزحل .. حلّ أهلاً ونزل سهلاً.

قطّب حاجبيه، وبحركةِ رأسٍ جدّيّةٍ نافيةٍ ، أضاف:

- زحل ليس كوكباً جيّداً.

- ماذا تعني أنّه ليس كوكباً جيّداً؟!

- زحل كوكب الإعاقة، والضّمور، يدفع إلى الأمراض المزمنة والكامنة، ويشحن ضحاياه بالخوف، ووجوده في أيّ جزء من الطالع يشكّل ألماً في حدّ ذاته..

ضحكت في سرّي وأنا أرفض طبعاً فكرة أن يكون لزحل تأثيرٌ عليّ في خيرٍ أو شرٍّ.. قلت مؤكّدةً وبإصرارٍ ساخرٍ:

- زحل صديقي.. ولن تفرّق بيننا مزاعم المنجّمين.

- هذا شأنك، أنا فقط أخبرك بما أراه على خارطة النّجوم.

- أنا أحبّه، وأراه أجمل الكواكب على الإطلاق، صحيح أنّ المشتري أضخمها، والمرّيخ يدعى بالكوكب الأحمر، والزُّهرة سمّيتْ بنجمة الصّباح والمساء، الا أنّ الزّنّار الحلقيّ الذي يحيط بزحل يجعله فاتناً حقيقيّاً.. لقد رأيته مقرّباً في سهرةِ رصدٍ فلكيّةٍ أقامتها نقابة المهندسين، ولقد بدا جميلاً للغاية، ولكلّ من رآه الحقّ في أن يشبّهه بما يشاء.. أمّا أنا فقد تخيّلته ملكاً أحاطت برأسه أروع الماسات بريقاً وأشدّها لمعاناً.

- لك ما تشائين، وما تعتقدين، لكنّني سأخبرك أنّ زحل يدور حول الشمس في ٣٠ سنة تقريباً، أي أنّه يمكث في كلّ برجٍ من الأبراج الاثني عشر، مدّة سنتين ونصف، تقريباً، ولهذا يكتسب مواليد كلّ عامين ونصف صفاتٍ مشتركةً من صفات زحل، ولك أن تصدّقي أو لا.

- أيّها المنجّم ، أنا امرأة مؤمنة بالله، وبالقدر خيره وشرّه من الله، امرأة إيجابيّة بالمطلق، وسترى كيف أمضي عامي هذا، إن كُتِبَ لي فيه عمر.. لقد عاهدت نفسي أواخر العام المنصرم وأنا أكتب خطّتي لعامي المقبل، أن أنجز فيه من الأهداف والأحلام ما استطعت...

في الخطّة يا صديقي، بنودٌ كثيرةٌ ، مشاريع صغيرة ، وأعمالٌ لها صفة الدّيمومة اليوميّة، صداقات جديدة طيّبة ، ولقاءاتٌ مثمرة في زمانٍ ما ومكانٍ ما.. إنجازاتٌ حيويّة على كلّ صعيد.

دهش المنجّم من تدفّقي، ورمقني بنظرةِ من ينتظر البرهان والدّليل على أقوالي، فاستطبت لعبة التّحدّي معه وسألته سؤال المفعم باليقين:

- بالله عليك قل لي ما الذي يخشاه المرء في حياته؟

الموت؟! فكلّ حيٍّ إلى موت.. المرض؟! فهو آليّة بيولوجيّة تُستدرك بعلاجٍ ودواء.. فراق من نحبّ؟! فهذا ديدن الحياة دائماً.. مصابٌ في مالٍ؟! أو نقصٌ في ناحيةٍ ما؟!.....

ما الذي يخشاه الإنسان حقّاً؟؟!!

وانتبه.. فأنا لا أُسخّفُ مصائب الدّنيا إطلاقاً، ولا أدّعي استسهالها أبداً، لكنّ الصّبر مطيّة للخروج من البلاءات، وكلّ أمر المؤمن خير، إن سرّه شكر، وإن ضرّه صبر.

# مهرجان الأصفار

في مهرجانِ ألوانٍ بهيجٍ، ارتدتْ الأصفار ألوانها الجميلة، المختلفة.. وعلى مسرحٍ افتراضيٍّ تنافسيٍّ يضجّ بالحركة والعذوبة، وقفت تستعرض جمالاتها المتباينة، معتمدةً على تنوّع أدوارها واختلاف أشكالها.

تميّز الصّفر العربيّ بكونه نقطة فقط، قد يكون لها شكل دائرةٍ أو معيّنٍ مطموسين.. بينما اتّخذ الصّفر العالميّ شكله البيضاويّ عموديّاً..

على خشبة المسرح المزعوم، وقف كلّ صفرٍ ليدلي بدلوه، فيبدع ويتفنّن في شرح صفاته وآلائه.. قال أحدهم وهو يفتح كفيّه الفارغتين:

- بدايةً، الصّفر، سواءً كان رمزاً، أو عدداً، أو مفهوماً، فهو يعني غياب أيّ كمّيّةٍ أو شيءٍ، هو للدّلالة على معنى لاشيء، وقد استُخدم لملء المنزلة الخالية من أجل حفظ ترتيب خانات الأعداد، مثلاً العدد مئتان وخمسة، يُكتب الصّفر في خانة

العشرات( ٢٠٥)، ولكم أن تتخيّلوا المزيد من الأعداد مهما بلغت خاناتها، لأكون أنا في المنزلة الخالية، حفظاً للعدد المطلوب.

قال صفرٌ ثانٍ:

- أنا "الصّفر المحايد".. ففي عمليّات الجمع والطرح، إذا جمعتم رقماً معي، أو طرحتموني من رقم، يبقى الرقم نفسه، دون تغييرٍ يطرأ عليه بزيادة أو نقص، مثلاً( ١+٠=١)و( ١-٠=١)، فلتطمئنّوا أنا لا أشاغب على ذواتكم، ولا أخاتلها بتحويرٍ أو تعديلٍ، وها أنا أترك لكم المجال لتفكّروا بالمزيد من الأمثلة.

قال ثالث :

- أنا " الصّفر العلامة الماصّة".. عندما يُضرب أيّ عددٍ بي، تكون النّتيجة صفر، أنا، مهما كانت قيمة العدد المضروب بي، فأنا أمتصّ قيمته، بالغةً ما بلغت، مثلاً ( ٥٦٧*٠=٠)، لذا فأنا أحذّركم من خاصّيّتي هذه، لا تصطدموا باللّاشيء وبالعدم، وتغوصوا في فراغه، لأنّكم ستضمحلّون تدريجيّاً، وتتلاشون شيئاً فشيئاً، وكأنّكم لم توجدوا، وستفقدون كياناتكم الرائعة.

قال رابع:

- الصّفر، عموماً، يسمح بأداء العمليّات الحسابيّة الصّعبة، بسهولةٍ ويسرٍ، مثل التّفاضل والتّكامل، والمعادلات المعقّدة، ولقد صنعتْ لكم هذه العمليات الكثير من تطبيقات التّطوّر والتّقانة والإنجازات في حياتكم العمليّة.

قال آخر:

- الصّفر سهّلَ عمليّة التّرقيم، فبعد انتهاء التّرقيم من واحد إلى تسعة، يُضاف الصّفر إلى ١ من أجل دورةٍ جديدةٍ، وبعد العدد ١٩يُضاف الصّفر إلى ٢ من أجل دورة جديدةٍ ثانيةٍ ، وهكذا.... فبدوني يستحيل على الأعداد الاستمراريّة، أنا النّماء والتّزايد بلا حدودٍ، فتدفّقوا مثلي ولا تقفوا عند حدّ.

قال صفر آخر:

- الصّفر، هو الرقم الوحيد الذّي لا يعدّ موجباً ولا سالباً، وهو الفاصل الحقيقيّ بين الأعداد الموجبة والسالبة، ولعلّ أفضل ما

أنصحكم به، هو أن تعتدلوا، وتبتعدوا عن التّفريط والإفراط والتّطرّف، كونوا وسطاً جميلاً معتدلاً.

وقال آخر:

- الصّفر، هو حاصل طرح عددٍ من نفسه، ١-١=٠، فلا تغادروا أنفسكم، حتّى لا تصيروا عدماً.

وهنا اشتدّ حماس المنافسة بين الأصفار الجميلة، فقال أحدهم:

- صحيح أنّني لا أشكّل قيمةً عدديّة، ولكنّني أضيف قيمةً كبرى لأيّ رقمٍ أكون على يمينه، فأنقله من خانة العشرات إلى المئات فالآلاف، إلى ما لانهاية، فلتكونوا القيمة النّافعة المضافة في الحياة، ولا تستغرقكم الهوامش والتّوافه والسخافات.

وقال آخر وقد أخذه الزّهو بالمنجزات العصريّة التّي تمّتْ بفضله:

- هل تعلمون أنّ النّظام المكوّن من رقمين الصّفر والواحد، هو السبب في إحداث ثورةٍ معلوماتيّةٍ في قلب التّقانة الحديثة، والتي كان من نتائجها الحاسوب، والجوّال، وشبكات الاتّصال،

وغالبيّة الأجهزة الكهربائيّة الالكترونيّة، إذاً بالتّشاركيّة مع الآخرين نستطيع صنع الأمجاد والثّراء في مجالاتٍ عدّة.

وقف الصّفر على الشمال ، وقد كان آخر المتحدّثين، ذليلاً، خافض الرأس، خاوي الوفاض ، قد علت ملامحه مسحة خواءٍ لقلّة أهميّته وانعدام دوره.. تلعثم في أداء التّحيّة، وسكت لحظةً قصيرةً يستجمع حجّته، لكنّه وبعد صمتٍ قصيرٍ مكتنزٍ بالتّفكير، صاح بصوتٍ واثقٍ، مبتهجاً كمن عثر على دليل فوزه أو برهان براءته:

- نعم .. أنا .. الصّفر على الشمال، كلّكم تعرفونني..

تعبيرٌ.. ما أكثر ما سمعته من أفواه النّاس في مناسباتٍ عدّةٍ، يصفون به من لا رأي له في أمرٍ ما، ولا دور ينسب إليه في شأنٍ ما، ولا سلطة أو قرار يملكها في قضيّةٍ ما..

وربّما ينعت أحدهم به نفسه ليتملّص من مسؤوليّةٍ تناط به، ومهمّةٍ تقع على كاهله، فيدّعي أنّه صفرٌ على الشمال.

لكنّ حقيقتي غير ذلك.. أنا الصّفر الوحيد الذي يُوضع على يسار رمز النّداء الآليّ القطريّ للاتّصالات، والصّفرين على يسار رمز النّداء الآليّ الدّوليّ للاتّصالات..

أنا شهرتي عالميّة، ولست هامشيّاً، أو لا أعني شيئاً..

وعلى العكس تماماً، فأنا أضع توقيعي على الشخصيّات الهزيلة لأولئك الذين يختارون اللّافاعليّة، واللّاقرار.. إنّه اختيارهم الشخصيّ، إذ يعطّلون إراداتهم وجدواهم، فإن كانوا مستائين من وصمتي عليهم، أنّهم صفرٌ على الشمال، فلهم أن يجتهدوا في نقل مواضعهم في الحياة إلى الفاعليّة و المكانة الأجدى.. لهم أن يبدؤوا في امتطاء الخانات العدديّة والارتقاء بها إلى مالا نهاية..

يا سادة.. الإنسان حيث يضع نفسه..

وصورته الذّهنيّة عن نفسه وعن الآخرين ليست شيئاً ثابتاً، ولا كينونة متحجّرة، ولا قدَراً حتميّاً.. إنّها كائنٌ حيويٌّ يملك المرونة والقدرة على التشكّل الجديد في كلّ آن.

أنهى آخر الأصفار مرافعته المتواضعة في الدّفاع عن سمعته الملوّثة، وبدأ بالتّراجع نحو الخلف، فإذا بالتّصفيق الحارّ يلاحق خطواته، ويدعوه للانحناء أمام تحيّة بقيّة الأصفار..

قال أكثرهم حكمةً:

- شكراً لك يا صفر على الشمال ، فنحن جميعنا قد قمنا بتقديم شرحٍ مبسطٍ عن واقعنا النّمطيّ المعروف، أمّا أنت فقد صغت في كلماتك دعوةً للتّغيير نحو الأفضل، وللتّحسّن المستمرّ، وهذا ما يصنع الفرق في حياة من يريد.

# داءُ هذه الأيّام

لم يعد في صالحي أن تُجرى المقارنة بين عوالمي وبين عوالم الحواسيب.. أنا الروح الغنيّة.. التي.. كانت تتحدّى فقر العالم الخارجيّ، وتُلقي عليه ظلال التّدفّق والثّراء.. والحبّ.. فيغدو غنيّاً بالتّوق، والرفعة.. أنا النّفس الشاسعة الحدود.. التي.. كانت تتعدّى حدود آفاق الحقيقة والواقع بشوطٍ بعيدٍ، فتحلّق في سماء الممكنات، والبدائل المرنة، وتقفز فوق مساحات المستحيل.. وتصنع الأمجاد وأقواس النّصر.. أنا المخيّلة المجنّحة.. التي كانت تثري هذا الوجود الجافّ، وتتغلغل نسغاً حيّاً طيّباً، في شرايينه اليابسة المحبطة، فتصنع إبداعاته، وتبتكر مخترعاته، وتأتي بكلّ جديد..أنا القلب المفعم.. الذي كان مليئاً بمشاعر دافقةٍ، وأحاسيس فوّارةٍ، ترتاد العالم الفارغ،

فتعبّئه بنشوة الحياة، ولذّة العيش، والأحلام الملوّنة.. أنا الطفل.. الراشد.. الإنسان.. الذي كان يعرف من الألوان، والأطياف، والأحلام، ما يملأ ساحات العمر.. وكانت أحداثٌ صغيرةٌ جدّاً، مثل ضحكة طفلٍ، وشذى زهرةٍ، ورفرفة فراشةٍ، وقطرة ندى، وحفيف أوراق أشجارٍ، وهمهمة رذاذ مطرٍ، وصوت عندليبٍ، تكفي لانطلاق شغفٍ كبيرٍ، ولتوقّد وجدانٍ مشتعلٍ..

كانت الحياة أبسط، وأغنى، وأجمل.. اليوم.. الحواسيب الكبيرة، وأخواتها من جوّالاتٍ وأجهزة الكترونيّةٍ، صارت سادة المتعة الطفوليّة والشبابيّة..

صارت المادّة السامّة القاتلة، التّي يرتشفها ببطءٍ راشدو العالم، فتقتل وقتهم، وتعيق نماءهم، وتجعلهم محصورين في عالم مجرّد ، غير حقيقيّ، اصطناعيّ، يشعّ بألف لونٍ، وألف نغمةٍ، وألف صورةٍ، تتمازج كلّها في أنشطة صاخبةٍ، حادّةٍ، عنيفةٍ، ممّا يعمل على تهييج الحواسّ بشكلٍ دائمٍ، يجعلها تدمن الإثارة،

وتطلب المزيد.. تنسج لهم محيطاً تقنيّاً، يكون فيها تصوير الأشياء ، بديلاً عن الأشياء ذاتها، فتبدو أكثر لمعاناً، وأكثر تشويقاً.. وأقلّ مكوثاً، وأهشّ بقاءً..

لقد أبعدتْهم عن تذوّق رائحة الورق المعتّق بحبّ الحروف، وعطر الأفكار.. حبست عضلاتهم بين قضبان الجمود وعدم الفاعليّة، فجعلت منها عضلاتٍ ضعيفة الأداء، هزيلة الشكل، باردة الانفعال..

حواسيب أعادت تشكيل الإنسان من جديدٍ، وفق أهواء مَنْ برمجها، لتكون في يده أداة غزو فكريٍّ رهيبةً، تستعمر العقول، عابرة لقارّات الكرة الأرضيّة، وممتطيةً ظهور مستخدميها ومناكبهم، تسحب نواصيهم إلى مغارات الضّحالة والبلادة، فيشهدون تأجّج العالم من حولهم، بانفعالٍ بهيجٍ، دون أن يكون لهم دورٌ مهمٌّ، غير المشاهدة، والمتابعة على الشاشات، فيحسبون إنجازات الآخرين بطولاتهم المزيّفة، ويكتفون بالتّصفيق والانبهار..

ترى هل جرّد هذا العالم الاصطناعيّ النّاس من إنسانيّتهم، واستلبها منهم، فصاروا عبيداً من نوعٍ آخر، أم إنّه يحاول تعويضهم من خلال تقنيّاته المذهلة، ومؤثّراته الخاصّة، فيولّد لديهم مشاعر جيّاشة، وانفعالات محتدمة، تخدّر حياتهم العاطفيّة، وتوقظ إحساسهم الذّاتيّ فقط... أسئلة برسم إجابة مَنْ يقرأ.....

أمّا أنا.. الكينونة الإنسانيّة.. التي راحت تقارن بين عوالمها وعوالم الحواسيب ، فقد اعترفت بخسارتي، وأيقنت برجحان الكفّة الأخرى...

لقد صدق مَنْ سمّى هذا الضّجيج الحاسوبيّ، داء هذا القرن الجديد.

# جرسُ إنذار

فقد الأب أعصابه بعد المرّة المئة التي أمر بها ابنه ماجد، ذا الأعوام السبعة، أن يكفّ عن الصّراخ...

بعد المرّة المئة مِنْ " اخفض صوتك " .. هبّ واقفاً، وبحركةٍ موتورةٍ، ألقى القبض على ابنه، واقتاده أمامه إلى جهةٍ مجهولةٍ..

سكت ماجد مذهولاً من تصرّف أبيه، وهو يتهيّب من مصيرٍ لم يتبيّن معالمه بعد.. لم يجرؤ أن يسأل أباه الصّامت الغاضب " إلى أين؟! "، فلبث مستسلماً، منقاداً، متوجسّاً، حتّى وصلا إلى سور الحديقة المجاورة للمنزل.

أوقف الأب ابنه قبالة السور، وأدار وجهه إلى الحائط، ثمّ أمره بغيظٍ، والشرر يتطاير من نبرة صوته:

- هيّا.. اصرخ هنا.. وبأعلى صوتك.

تردّد ماجد ذاهلاً.. فجاءه الأمر ثانيةً، وبحدّةٍ أكبر:

- هيّا اصرخ الآن.. هيّا.

ندّتْ عن الصّبيّ صرخةٌ ضعيفةٌ، مذعورةٌ.. فما كان من الأب الا أن كرّر الأمر مصرّاً:

- اصرخ.. أعلى.. أعلى.

واستمرّ الحال مدّة عشرين دقيقة، كلّما راغ فيها الولد إلى الصّمت، تلقّى مع أمر " اصرخ أعلى .. أعلى." وكزةً دافعةً في كتفه، وهرسةً مؤلمةً في أذنه.

أخيراً.. وضع ماجد يده على فمه، وقد أحسّ بألمٍ شديدٍ في حنجرته، ثمّ انخرط في البكاء.

أمسك الأب يد ابنه الباكي، وسحبه إلى داخل المنزل، دافعاً إيّاه إلى غرفته، قائلاً:

- كلّما اشتقت للصّراخ.. تعال نكرّر المشهد.

وطابت بعد ذلك أيّامٌ كثيرةٌ مفعمةٌ بالهدوء والسلام، وكان الدّرس كافياً لكي يكون جرس إنذار.

# قصص ومقولات قصيرة جدّاً

***** يأسٌ قاتل**

فقد الأمل في نشر إبداعاته من قصصٍ وروايات، إذ لا دار نشرٍ تبنّت أعماله، ولا ملاءةً ماليّةً لديه تمكّنه من أن يقوم بنشرها على حسابه الخاصّ..

غمره يأسٌ قاتلٌ فقرّر أن يلقي بها إلى حيث لا عودة.. راح يترقّب كلّ ريحٍ هوجاء صرصرٍ تمرّ به، فإن اشتدّت حول بيته وسمع صوتها تزمجر وتتمسّح بجدران المنزل وأشجاره، وتراقصهما، كقطٍّ عابثٍ يلاعب كرةً من الصّوف، عندها يخرج إلى السطح، حاملاً إحدى أوراقه التي قرّر أن يتخلّى عنها..

بادئ الأمر.. يعيد قراءة سطوره الخجلى، الذّاهبة إلى الفناء، يعيدها للمرّة الأخيرة، فيعجب بها، ويتأسّف لمصيرها، ثمّ يلقي

عليها نظرة وداعٍ وإشفاق، كمن يبيع ولده، أو بعض أعضاء جسده.

يحوّلها في لحظة غضبٍ وأسى إلى قصاصاتٍ صغيرةٍ، ينثرها في وجه الريح، ويرمق امتطاءها صهوات الهواء ، وتلاشيها بعشوائيّةٍ وجنونٍ..... وكأنّها لم تكن يوماً.

***** الجنّيّة الصّغيرة**

المراهقة الصّغيرة التي في داخلي، سرقت كلّ كلماتك الغزليّة، احتكرتها ونسبتها لنفسها، وراحت تطالب بك وبقربك دون هوادة.. راحت تنفث في وجهي ضباباً كثيفاً كلّما حاولت أن أثنيها عن ضلالتها.. لقد حاولتُ تهدئتها فسخرت من وقاري، حاولت ترويضها فازدادت شراسة.. وحاولت اعتقالها.. فهربت منّي مثل جنّيّة غامضة.

***** سلّة محذوفات**

على زرّ إفراغ سلّة المحذوفات أضغط بين الحين والآخر.. وألقي فيها كلّ ما ينبغي أن يحذف.. ما انتهت صلاحيته.. ما يتسبّب لي

بالأذى.. ما اعتقدت أنّه لصالحي فكان خسراناً مبيناً.. ما رجوته فرحاً فانقلب إلى جرحٍ عميق.

كم يطيب لي أن أعتني بسلّتي الصّديقة هذه.. أن أغلّفها بقماشٍ مورَّد زاهٍ.. وأن أسكب فيها رشّات من العطر اليوميّ الساحر، وأن أختار لها مكاناً أثيراً على سطح الذّاكرة.. إنّها السلّة التي لا غنى لكلّ بشريٍّ عنها، حتّى لو حملها فوق كتفيه.. فهي الخفيفة الرشيقة مهما اكتظّت بالمحتويات.. وهي اللّطيفة الصّديقة وإن أُثقلت بكلّ ثقيل.. وهي الأنيسة الرفيقة التي ترفّق بالحال وتهزأ من المحال.. وتنتصر دائمًا وأخيراً على معاناة الأهوال.

*** نهاية

لم يعد مؤلماً أن تنتهي الحكاية كما تشاء.. فنحن نكبر فجأة ونشيخ، تضعف أيادينا عن التّمسك بما نريد، ويضعف القلب عن اغتنام أشواقه.. نفتقد شعلة الحماس التي تضيء طريق السعادة، فإن تعثّرنا بها سارعنا إلى إخمادها خشية أن تؤدّي بنا إلى مطارح الهلكة.. لعلّنا نكبر فلا نقوى على تكاليف العناق، ولا نحتمل مشقّة الحلم.. ولعلّنا نتقن الوقوف في منطقة أمانٍ

خلّبيٍ ولو على حساب أنفسنا.. ونتفنّن في اقتراف ذرائع السلامة المزعومة ونحرص على ادّعاء أحقّيّتها.. " إيّاك أن تفعلي".. صرخةٌ تهزّ كياني.. "وليتك تفعلين" همسةٌ عذبةٌ تتغلغل في جوانحي.. وما بينهما يمرّ الوقت متخماً بالحيرة والتّردّد والألم..

تستهلكنا من خلاله أطوار الحياة.. تتقاذفنا، وتلهو بنا.. وتدفعنا إلى كلّ النّهايات المحتملة...

فالمراهق يودّع شغب مرحلته، وقد ناء بما أثقلته به هموم طينته.. والكبير تتسارع به الأيّام عابرة بأحلامه وأمانيه إلى آفاق مبعثرة، لا وصول إليها .. ربّما..

نكبر.. نكبر فجأة، في كثير من الأحيان، ونغلق ملفّات شغفٍ حقيقيٍّ دون أن ندري.. ونعتاد خواءً، وندمن سرابًا، ونعايش شجونًا مُلِحّة، كلاعق المبرد.. تتراكم خساراتنا فنألفها، وننام على إيقاع أجراسها، ثمّ نرتكب إثم الابتعاد عن كلّ كسبٍ، وكأنّه النّجاة من غرق.

***** ضلال**

ويح قلب، ضلّت بوصلته فأرشدته إلى مفازة مبهمة، وقد كانت الخمائل قاب قوسين أو أدنى من خطواته.. ويح قلب، سكن إلى صقيع فرقةٍ.. تحاشياً للظى حبّ .

***** تحت السيطرة**

كنت أظنّ أنّني لحظة رحيلك سوف أقفل المحضر، وأُلقي بكلّ أوراق قضيّتنا إلى الهاوية.. كنت أظنّ أنّ الأمور كلّها تحت السيطرة، وأنّني ذات قرارٍ شجاعٍ سأتناسى وأتعامى وأتشاغل..

لكنّ قطعةً في داخل قلبي تحمل اسمك، أبت الا أن تركع في محراب حبٍّ عتيقٍ معتّقٍ.. أثيرٍ مؤثّر.. قطعةً تحمل اسمك وتنبض كلّ يوم، وهي تسرق من العين دمعةً حائرةً، ومن اللّسان دعوةً صادقةً..

أنا أعترف أنّ تلك الكتلةَ اللّحميّةَ التي تسكن في يسار صدري قد أبِقَتْ عن طاعتي، وخالفت أوامري، وخرجت عن السيطرة.. وظلّت تحبّك.

وسواءً أُقفل المحضر.. أو لم يقفل.. أو بقي معلّقاً في دهاليز الذّاكرة تتناوشه خفافيش الغطرسة، فإنّ النّهايات تبدأ جميلةً لكونها لحظةَ اختيارٍ طازجة.. لكنّها مع الأيّام تذوي كورقةٍ صفراء تذروها الرياح وتتحطّم تحت أقدام العابرين.

***** لغة الجسد**

لغة الجسد سلاح فتّاك، يفتك بالضّحيّة، ولا يترك دليلاً على جريمة يسهل التّنصّل منها.

***** موجة عطر**

في البدء كانت قطرة.. ثمّ فاحت حبّاً، وانسكبت خمراً.. فأنعشت الروح وأسكرت القلب.. لكنّها غابت كأنّها لم تكن.

***** أحقاد**

أحقادٌ بلا ضفاف ملأت سديم القلب وانتشرت في أرجاء الروح كغاز سامٍّ.. تساقطت اللّعنات حجارة سجيل فأحرقت أوراق البرديّ وسعفات البوح.. فما أحرانا أن نطفئها!!!!.

***** الكريستال الرقيق**

بدا لي أرقّ ممّا تخيّلت.. لمستْه يداي بحذرٍ شديدٍ لئلّا يصاب بأذى، ثمّ دفعتني رقّته البالغة إلى الابتعاد، خشية إيلامه أو خدشه أو كسره.

***** ذات يوم**

ذات يومٍ، كان اللّاشيء أوّلاً..

ذات يومٍ، كانت لحظة صفر مشاعر..

وذات يومٍ، بدأت لحظة انفجارٍ كونيّ مختلفٍ، أسفر عن عالمٍ مختلفٍ، أعاد تشكيل النّجوم وترتيب المجرّات.

***** انزياح**

صكّ الوفاء هو نوع من العبوديّة، نختار أن نوقّع عليه ونعترف به، ونحن بكامل قوانا العقليّة وبكامل إرادتنا ووعينا.

***** عنف**

حرص الاثنان كلّ الحرص على أن تكون لأندلهما، شرف الصّفعة الأخيرة، والضّربة القاضية.

***** رحيل لئيم**

بعد عمرٍ من الحبِّ.. من سيرحل أوّلاً؟!!! لا شكّ أنّه سيكون الأكثر لؤماً..

***** شهريار**

في داخلك يقبع شهريار.. أيّها الشرقيّ المتحضّر البائس.. والتّحضّر ادّعاءٌ لا دليل لك عليه.

إنّ طوفان الشهريايّة الغامر يتسلّقك بذكاء شريرٍ بدءاً من كاحل قدمك، ثمّ يتراوح في مدّه وجزره.. فيرتفع إلى قمّة رأسك، مروراً بأذنيك، فلا تكاد تسمع من الكلمات الا ما يوافق هواك، ويتسرّب من خلال أنفك، لتستنشق عطر النّساء المغرقات في البعد.. وتطغى سيول الشهريايّة، بينما تقاوم أنت سطوتها في

شرايينك، فتغمر عينيك، لتتبّع بنظراتك النّهمة كلّ عابرةٍ، وتبحث في تفاصيلها عن أنثاك المفقودة.

قد تصطدم بصخرة الحضارة.. وتنتبه إلى مغالاتك وانغماسك في نرجسيّتك، فتراجع أفكارك، وتخالف نفسك، وتأنف مجدّدًا من الانصياع إلى ترهّلك الذّكوريّ.

أيّها الشهريار لن تكون الا كذلك.. مهما ادّعيت استراتيجيّات التّحضّر، وتلبّست أناقة العدالة الأرضيّة، وتشدّقت بعبارات الرفض للاسترقاق المجحف للمرأة.

في داخل كلّ رجلٍ شهريارٌ ما... صغير، أو مراهق، أو هرِم.. شهريارٌ... يختلف عمره وحجمه وبصمته، باختلاف سويّته الفكريّة والروحيّة، لكنّه موجود على أيّة حال، يتحكّم في سلوكيّاته وطرائق عيشه، في اختياراته وعلاقاته فما يكون من صداه الا انصياعاً خفيّاً.. وارتهاناً غامضاً، يودي بصاحبه إلى خسائر وضياعاتٍ وفقد.

***** عملاق أحمر**

ما أخطر الحبّ حين يغدو عملاقاً أحمر!!

يتعملق بدواخلنا نجماً محتضراً، وغصناً ذاوياً.. ترى هل نحن من صبغناه باللّون الأحمر؟!

أما كان من الأجدى.. أن نتمنّاه أخضر، نتفيّأ ظلاله وننعم بلطيف أجوائه.. أو أزرق، نبحر فوق أمواجه الحانية إلى موانئ أفراح.. أو بنفسجيّاً، يبهج الروح ويدني إليها كمالات الانسجام وجمالات التّناغم؟! سؤالٌ برسم انتظار الإجابة.

***** مسافة أمان**

لقد صفعْتني ذات يوم.. ولأنّني أحبّك.. لم أغلق في وجهك الباب حين عدت، ولكنّني قرّرت أن أترك فيما بيننا مسافة أمان تحميني من صفعةٍ أخرى.

***** أنا وكفّتي الميزان**

أنا لا أطيق أن أكون في كفّة ميزانٍ، بينما ثمّة آخر يقبع في الكفّة الأخرى.. ومع ذلك.. ما أكثر ما وضعني القدر في هذا الامتحان، لتطيش كفّتي وتلقي بي بعيداً.

***** مخادع**

طوّقها بوشاحٍ جميلٍ مزركشٍ.. حريريّ الملمس.. أغدق عليها الحبّ والغزل والاشتهاء إلى أن وثقت به.. عندها شدّ الخناق الحريريّ على عنقها... حتّى اختنقت بحبّها.

***** ساحة حبّ**

لاعبا شطرنج محترفان حاذقان.. تتحوّل رقعة الشطرنج بينهما إلى ساحة حبٍّ، يتبادلان فيها الأدوار الذّكيّة لجعل القلاع أشدّ تحصّناً وشموخاً.. يكتبان للخيول الأنيقة نوتاتِ صهيلٍ عذبٍ يمجدّ الرغائب السامية المتعالية.. ويرسمان للبيادق كرنفال فرح وحفلاً تنكّريّاً بهيجاً تتسابق فيه لنيل أوسمة الولاء، لبقاء الملكة، وعيش الملك.

***** فيضان**

حين طفح القلب بها.. فاضت الكلمة.... " أحبّك".

***** همومٌ متلاحقة**

بمقصّ جريحٍ اقتطِعَتْ صورتكِ بعيداً عن صورة جماعيّة..

بقرارٍ جائرٍ رماك الاختلاف الجذريّ خارج حسابات الحبّ..

بمرآةٍ قاتلةٍ شوّهت وجهك ملامح الانتقاد اللّاذع..

بلامبالاةِ مترفّعةٍ تجاهلك الاختيار..

وبأنانيّةٍ مفرطةٍ زهد في جوارك الراحلون..

وبخمسين يوماً من الخواء أقصاك الإخاء كأنّك لم تكوني..

إذاً... تعلّمي فنّ البقاء على قيد الفناء، وارتسمي ظلًّا لعمرٍ مقفلٍ بلا آه.. ابتلعي غصّتك الحادّة، ولو تمزّق حلقك.. وانسي مواكب العيش التي تمرّ تحت شرفات الحنين.. أو في مدائن الآخرين.. احفري قبر أساك.. وادفني صمتك البليد.. وتعالي على وجعك الصّارخ.. ولا تنتظري شيئاً من أحد... لا تنتظري أحداً.

***** لست بخيلة...**

أنا امرأة أغدق قلبها الحبّ، وقلمها البوح.. لمن استثنته.. وخصّته باهتمامها، بإصغائها لصوته، وبدعواتها له بظهر الغيب..

لست بخيلة..

لكنّني أحتجز في داخلي ما تبقّى من جبل الجليد.. وأكفّ عن إبدائه لأستبقي الأمان والسلام، ولأحتفظ بما تنازعني إيّاه بمرارةٍ، مرارةُ الايام.. أنا أصمت لأحفظ حريّة قلبي في أن يضجّ ويضطرب كما يشاء.. دون أن تُهدر كبرياؤه، وتستباح دموعه.. لست بخيلة.. ولست أطمع بشيءٍ ليس لي.. ولا أنازع أحداً على ما يروق له.. فكيف بما يملكه...!!! لست بخيلة في قول كلمة أحبّك.. لأنّ بعض الحبّ لا يقال.. ولو بلغ عنان السماء.

***** نصائح بالمجان**

حين أخبرت صديقاتي أنّ خاطباً يطرق بابي.. سألتني صديقتي المتخصّصة بعلوم الاقتصاد، قبل أن أكمل:

- ماذا لديه ؟ وكم سيمنحك من أمواله المنقولة وغير المنقولة؟!

أمّا صديقتي المتديّنة، فقد رفعت سبّابتها محذّرةً وقالت:

- إيّاكِ من ارتكاب الحبّ قبل توثيق العقد الشرعيّ والقانونيّ.

صديقتي الشاعرة، سارعت إلى إهدائي عدداً من دواوين الشعر الغزليّ التي ترقّق المشاعر وتنمّيها..

أمّا صديقتي المتزوّجة، فقد نصحتني أن أتقن فنون الطبخ، وصنع الحلويات، بدعوى أنّ أقصر طريقٍ إلى قلب الرجل معدته.

***** في الوادي المقدّس**

أراد أن يصطفيه كليماً.. وأن يُصنع على عينه.. وأن يصطنعه لنفسه.. زوّده بتسع آياتٍ معجزات، ومكّنه من علوم عصره.. منحه القوّة الجسديّة، وشدّ عضده بالقوّة المضافة، أخيه.. وفوق كلّ ذلك وقبله، أكرمه بمعيّته سمعاً.. ورؤيةً..

لكن... حين أدخله في حضرة الواد المقدّس، ليسبغ عليه كلّ هذه القوى و الآلاء، وليعدّه الإعداد الخاصّ للحظات المواجهة الرساليّة.. جرّده من.. عصاه ونعليه.. وهما عدّة غروره البشريّ..

أمره قائلاً:

- ألقِ عصاك... واخلع نعليك .

***** نداء الأرض**

صحيح أنّنا ذات حبٍّ غامرٍ، نحلّق في سماواتٍ من الفرح والنّشوة والسرور، ونخال أنفسنا أثيراً لطيفاً، شفّافاً، هفهافاً، لا وزن له ولا كثافة.. وكأنّنا نمتطي أجنحة فراشات الربيع..

لكنّنا.. والحال فينا، أنّنا تحكمنا قوانين التّراب الصّارمة، وتمدّ إلينا يداً هائلةً جبّارةً، لتلجم انطلاق تحليقنا.. فنعود.... وتصرخ في وجوهنا صرخة وعيٍ، لتوقظنا من غفلةٍ محبّبةٍ، فنفيق.... ألا.. كم نعود إلى الأرض وقوانينها.. آناً فآناً.. بعد أن نسمع نداءها..

تنادينا فنرتطم بها.. وينهب غلافها الجويّ أوّل تباشير فرحنا.. وتسرق تضاريسها ما تبقّى من نسغ الأمل.. وتصادر غطرستها براءة حلمنا..

لو تغيّر وجه الأرض.. وبقينا أحياء إلى ذلك الوقت، ربّما ننتهز فرصة اكتمال البدر في أعمارنا.. لتبقى المحبّة، ويبقى الحبّ..

هو وعدٌ متبادل.. فهذا.. ما لا تقدر الدّنيا على استلابه من أرواحنا.. لأنّ الروح في منأى من الظّلمة، وفي مأمنٍ من أن تطالها يد غدرٍ بأذى.

***** ميّ وجبران**

ممّا لا شكّ فيه أنّ مدينتها أغوته كي يُحبّها، تماماً، مثلما أغوتها مدينته كي تحبّه.. إنّه هذا البعد الجغرافيّ الجميل.. هذه الحالة الفيزيائيّة المنقطعة بكلّ خشوعٍ، هذا التّوحّد الذي يتغلغل في داخلهما، هذه الفرديّة والوحدة اللّتان يعيشان ثوانيهما لحظةً بلحظة، هذه الإشكاليّة المتجذّرة في أعماقهما دون أن يعيا خطرها، هذا التّناغم العذب بين روحين والتّجاذب الهائل بين قلبين..

كلّ ذلك كان بعضاً من أسباب أن يغدو جبرانها وتغدو هي ميّه..

ميٌّ هي، جبرانها في الروح أكمل اقتحامه عوالمها، واستطاعت روحه أن تتغلغل في روحها لتجعله أقرب ممّا يتخيّل.. لكن تباعدت عنهما احتمالات اللّقاء، فأسفر عن ذلك البين الموجعِ أسفارٌ ذهبيّةٌ من الأحاديث والحوارات، وتزاحمت الرسائل بينهما تهدي الهوى، صعب المنال، عزيز الآمال.

***** حتّى**

حتّى لو أغلقتَ كلّ منافذ الضّوء..

حتّى لو أحكمت حصاري وقيدي.. وشددت سلاسل أصفادي.. حتّى لو غدوت السجن والسجّان والجلّاد.. سأظلّ أبحث عن منفذٍ للنّجاة وللحرّيّة وللحبّ.

***** جبل الجليد**

الكلمات في كثيرٍ من الأحيان تبدو قزمة حين تتطاول إلى بثّ مكنونات النّفس، ورُبَّ حروفٍ قليلةٍ تشي ببعضٍ خجولٍ فلا

نرى من الجليد الا أعلاه.. الا أنّ الحقيقة تختفي هناك تحت السطح في العمق السحيق.

***** تحدٍّ**

حتّى لو أمعنت الحياة في إقصائنا..

حتّى لو اخترنا الاستسلام للتّنائي.. حتّى لو قرّرنا إحراق مراكبنا.. حتّى لو فقدنا وافتقدنا من نحبّ..

ستظلّ أسماؤنا متناغمة مع قدرٍ جميلٍ جمع بينها ذات يوم.

***** أسئلة مشروعة**

كنت أبحث عن مكاني في زحمة حياتك.. وكان لابدّ من عاصفة جنونٍ تقتلع يوابس دوحي، وتحرّك رواكد مائي، تهزّ أركان ظنوني، وتعيد ترتيب خلاياي.. كان لابدّ من تدفّق الأسئلة الحائرة التي تبحث لها عن يقين.. ولابدّ من العثور على نقاط ارتكازٍ لا تخون ثباتي، ولا تغدر بأماني، ولا تلقي بي إلى المجهول.

***** لوحة**

إنّ اقتراب المسافات، والتقاء المساحات، والتفاف الخطوط، وامتزاج الألوان، يصنع لوحة للأيّام القادمة.. يرسمها القدر بأيدينا على قدْر إخلاصنا ووفائنا.

***** انتظار**

وعود السحاب الخلّبيّ تغريني بتوقّع المطر، وتشدّ إليها تطلّعات عيوني، فأظلّ أرقب عناق الرعد والبرق، لعلّها تنهمر فرحاً حقيقيّاً وتربو سعادة مكتملة .

***** أدوارٌ وأطوار**

في داخل كلٍّ منّا.. طفلٌ.. مراهقٌ.. ناضجٌ.. ملاكٌ.. شيطانٌ.. مبدعٌ.. كسولٌ.. إلى غير ذلك....

وكلّ هؤلاء.. جميعهم يطالبون بحقّهم في الحياة، ويتصارعون فيما بينهم على أدوارٍ، وأطوارٍ، وأعمارٍ.. ونحن بسلوكيّاتنا وإراداتنا مَن نكمّم أفواههم.. أو نعطّل فاعليّتهم.. أو نقتلهم ونتخلّص منهم، كرمى لحساباتٍ مختلفةٍ....

إنّ شرطيّ المرور الذي يقبع عند تقاطعات حياتنا، يمارس دوره تماماً، فيسمح لهذا، ويمنع هذا، ويخالف ذاك، إلى أن ينتهي مشوار الحياة .

***** " كنْ، فيكون "**

يا ربّ " كن ".. هما حرفان عظيمان.. تتعلّق أبصارنا بما تقدّره علينا في ما بينهما.

***** اطمئن.. أنا بخير**

بعد أن عشت مهرجاناً من الأضواء والأحلام والأمنيات، انطفأ المهرجان، ومزّقتْ ريحٌ صرصرٌ أشرعتي.. لكنّني رمّمت نفسي، ولم أستسلم لانهيارات جليد الأمان.. حصاني المجنّح احتملني إلى بقاعٍ نائيةٍ، ولن أضلّ طريق العودة، فقطرات روحي تساقطت علاماتٍ وأدلّةٍ .

***** مجرّد رأي**

لو استمرّ الشعراء في كتابة قصيدة الشطرين، فقط، لما ظهرت نصوص بلا وزنٍ ولا قافيةٍ ولا حتّى إيقاعٍ، دعاها المجدّدون

قصيدة نثر.... ولو استمرّ الروائيّون في سرد أحداثٍ تمتدّ عبر عقودٍ مع التّركيز على المكان والأشياء والأشخاص، فقط، لما كُتبتْ روايات تتوسّع بحدثٍ مؤقّتٍ أو قصير، وتغوص في أعماق شخوصه سيكولوجيّاً.. ولو استمرّ القاصّون في إنشاء قصّةٍ ذات بدايةٍ وحبكةٍ ونهايةٍ، فقط، لما أثبتت وجودها القصّة القصيرة جدّاً.... فيا أصحاب القوالب، ترفّقوا بالإبداع الجديد خارج الصّندوق.

***** يا قمري**

أيّها المتقلّب في أطوارك الشهريّة..

حين أراك هلالاً، تغيب عن عيني بقيّتك السوداء المظلمة.. وحين تتّشح بالنّور الكامل القادم من ضياء الشمس، تسطع بدراً تماماً، فتستنير بك أشواق قلبي .

***** بين نوري وظلمتك**

دخلتُ قلبك كبقعة نورٍ تتهادى على قدَرٍ مختلفٍ، وابتدأ سجالٌ بيني وبين سوادٍ يمتلك أرجاءه النّابضة.. سوادٍ يقوى على

حين غفلةٍ منك، فيطردني، وأنا أتسلّل خلسة في دأب الفاتح الملهم لأُعاود الانتشار كقدرٍ جميلٍ.. وأبدأ معه رحلة صراعٍ جديدٍ.. أصارعه بصبر المخلص وبجلَد المحبّ، فيمزّق كبريائي، وينفخ في وجه صبري فحيحاً مخيفاً..

أنا، وسوادٌ في قلبك، على حلبة ربحٍ، نتقاسم جولات صراعٍ شرسٍ غير متكافئٍ.. أنت لست معي فيه، وكأنّك تنحاز إلى ما اعتادتْه أعوامك الطويلة..

أنا، وسوادٌ في قلبك، نتبادل التُّهم، ونتنافس السطوة، ونتنازع الانتصار.. فهل تراه ينتصر الحبّ؟! وهل تراني أقدر على انتزاعك من قرصان اللّيل الحالك الذي بسط جحافله الظّلاميّة على أيّامك؟!

هل تراه يتغلّب الحبّ، ويغمر بدفئه صقيع المكان الخالي؟!

أين ومتى أجد الجواب؟!.

***** جريمة**

ألقى نطافه الغريبة في التّربة الآثمة، ومضى متنكّراً لما نبت منها.

***** شبح الهالة**

ما أصعب أن يقترن بمسيرة الأقدار اسمٌ، تسحب طاقته السلبيّة صفاء الفرح، وتبتلع ألق الحلم!!!!

أيّ قدرٍ جعلني أتعثّر به، لأقضي العمر كلّه بين براثنه، وكأنّه القرين الذي يغتال كلّ بشرى!!!

اسمٌ، وزّعتُ شتات قلبي فوق هضابه، عندما كان غِرّاً، غضّاً، لم تتعلّم يداه بعد الإمساك بخيوط آماله، وهو يقترف الحبّ لأوّل مرّةٍ في حياته، حيث أدركته لعنة هذا الاسم المرصود ليُقصي عنه من يتجرّأ على اقتحام غاباته الغامضة..

في أوّل الطريق.. هالة...في الجمعة الحزينة.. في أوّل تمّوز الأسود..

ظهرت كشبحٍ ضبابيٍّ سرق منّي أوّل جِمال قافلتي، وتحوّل الحداء إلى نشيجٍ أسبوعيٍّ صامت، واعتلت مسيري غصّةٌ قاتلةٌ.. رهيبةٌ.. استلّت بقايا الكبرياء وأطاحت بعهودٍ وأحلام.

في منتصفه... اتّخذت مكانها في الوجه الآخر لحظّيَ الدّامي.. في الكفّة الأخرى لميزان قدري، كانت هناك دائماً ترمق وجودي

بنظرةٍ شرّيرةٍ حاسدةٍ، وتحيطه بطاقةٍ سيّئةٍ مدمّرةٍ.. وطئتْ أرضي قبلي، فاحتكرت نضارة دوحي، وخلّفته يباباً يابساً أشبه بحطام..

وفي آخره... تقف على الضّفّة الأخرى.. تصرخ في وجهي وتضحك بهستيريّة المنتقم.. يتعالى عويلها وهي تقول:

" لقد أفسدت رحلتك كلّها.. يا لك من بائسة.. أفنت العمر الضّحل في صراعٍ معي.. أنا الهالة الأقوى.. الهالة الأشرس.. ها.. ها.. فلتتنازلي عن صهوتك المغامرة المقامرة.. ولتتركي المضمار خاسرةً بائدةً.. أما آن لك أن تكفّي عن امتطاء حلمك المائت وركوب راحلتك العجفاء.. أما آن لك أن تعترفي بالإفلاس المريع وقد جفّت كؤوسك وتشقّقت أرضك.. وابتلعك الوهم المزمن ".

لم يعد ثمّة ما يقال.. فوجود هالة ينبغي أن يقفل الأبواب في وجه الريح.. وأن يُغلق السجّلات المفتوحة.

***** محاسبة**

أَمِنَ العدل أن يسفر لقاءٌ جميلٌ عن أسئلةٍ عسيرةٍ؟!

هل كان حبّاً، أو أنّه شيءٌ آخر يشبه الانتقام والتّشفّي من غرضٍ، ولغرضٍ، وعلى تخوم غرض؟! هل ما يدفعني إلى تقبّله خصلةٌ تسكنني هوىً أو هوان؟! هل كان وهماً أو حقيقةً؟! هل يعيش النّاس الحبَّ كما عشناه؟! أترانا شربناه صافياً.. وتساقينا كؤوسه إخلاصاً.. أم أضعناه مشوباً وتقاسمناه خسّةً؟! ترى كيف كانت نوايانا تسبقنا إليه.. اختلاساً دون نقاءٍ، واقترافاً دون طهرٍ، أم وداداً ناصعاً واهتماماً صادقاً؟!.....

***** خواء**

تساقطت الأقنعة.. ولم تعد دائرة الضّوء تضمّ شيئاً.. لقد انتهت المسرحيّة وخلا المسرح من أبطاله.. لم يبق غير ظلالٍ لديكوراتٍ شاحبةٍ، جامدةٍ، باهتة الألوان، تصفر بين أشلائها ريح ذكرى الأشخاص والكلمات.

***** مناجاة**

يا الله..... أنا أحبّك..... أفلا تشفع لي عندك سنوني الطويلة لتهديها رشداً وتمنحها سداداً؟ ألا تشفع لي عندك عذاباتي وجراحي لتمنحها انطفاءً رحيماً؟

لقد رمت بي الأقدار في لظى الأتون.. تعثّر قلبي فسقط في هاويةٍ لا قرار لها، وهامت بشريّتي في فضاء ضعفها وتكوين طينها، فكيف تضلّ إن كانت بك تستنير؟!!!!!

***** معاناة**

بين حقٍّ لي عندك، وحقٍّ لي عليك، ضاعت بوصلتي.. وبين الطيبة النّقيّة والسذاجة العفويّة اختلفت معايير تقييمي لنفسي وللآخرين.. وها أنذا لا أجد غير رافعةٍ من اللامبالاة تجتهد في رفع أثقال حزني.. وضمادةٍ آنيّةٍ تغلق الجرح الفوّار، ولو استمرّ النّزيف إلى الدّاخل.

***** مائدة العلم**

لمائدة العلم التي تتوضّع فوقها صنوفٌ من أطايبه ولذائذه، حوامل أربعة لا يستقيم الحال، ولا يصحّ التّوازن، بدونها..

أوّلها تاريخه.. الذي يسرد الحكاية كاملةً من لحظة انبثاقه فكرةً في ذهن أحدهم، ومن ثمّ تحوّله إلى حيّز الوجود المحسوس، مروراً بكلّ تفاصيل نمائه وتطوّره..

ثانيها فلسفته.. التي تشرح مراميه وتغوص في عمق أيديولوجيّته، وتؤطّر تطبيقاته، لتستنبط جمال وظلال انعكاسه على الكائنات الحيّة والجمادات وما في مداه..

ثالثها مختبره وأدواته.. وما يحتويه من لوازم تجاربه، وآليّة تنفيذها في شروطٍ مختلفةٍ متباينةٍ، فترصد النّتائج وتجمع البيانات، وتستخلص القوانين والسنن..

رابعها توثيقه ونشره.. وهي مهمّة الإعلام عنه بما يؤدّي الغرض منه لتحقيق وصول نفعه العامّ والخاصّ.

***** أمكنة مقدّسة**

مكانٌ مقدّسٌ، لا تتلطّخ أرضه بدمٍ مسفوكٍ.. ولا تحدث عنده خصوماتٌ ولا يُحاط بمشاجراتٍ من أيّ نوعٍ كان.. لأنّه المكان الآمن والسلام لمن يلوذ به..

هذا المكان المقدّس الذي اعتبرته قبائل أستراليا الوسطى مقدّساً، حيث دفنت فيه رموزها الطوطميّة" شورنجا " المنحوتة من قطعٍ خشبيّةٍ أو حجرٍ مصقولٍ بأشكالها المختلفة،

دفنتها بعد أن أضفت صفة القداسة على هذه الأشياء، لتحفظها في مكانٍ خفيٍّ في باطن الأرض في مكانٍ صحراويٍّ، ثمّ أقامت حوله أكوامٌ من الحجارة كعلامةٍ أو شواهد أو دليل.

هي دياناتٌ بدائيّةٌ، وضعيّةٌ، تعارف عليها واضعوها، وألزموا أفراد القبيلة فيها على احترام قوانينها وشرائعها....

وإنّي لأتساءل عن قداسةٍ مهدورةٍ لبيوت الله، على اختلافها من معابد وكنائس ومساجد، ما تورّع السفّاكون عن إراقة الدّماء فيها ولا امتنع الإرهابيّون عن إشاعة جوّ الرعب والهلع بين جدرانها ومرتاديها؟!!!!.

***** تنافس**

بعد أن أخبرته العين التي دسّها في صفوف منافسه، أنّ المنافس اشترى كمّيّاتٍ كبيرةً من التّمور ليطرحها في أسواق رمضان، قام هو ببثِّ إشاعةٍ عن فيروس إنفلونزا التّمور، فسرتْ كالنّار في الهشيم، لتلقي بالمنافس خارج السوق مفلساً خائباً..

بينما ركبتْ موجةَ هذه الإشاعة المغرضة، شركةُ أدويةٍ خاصّةٍ، فقامت بتسويق لقاحٍ سريعٍ، صنّعته من أردأ الموادّ الفعّالة، وأسوأ الخواصّ الطبيّة، لتجني أعلى نسبةَ أرباحٍ من البسطاء الذين يؤثرون أكل التّمور.

***** أبعاد**

عرف إنسان الكهوف البعد الوحيد الذي يصله بفريسته، ليعود منه إلى كهفه محمّلاً بغنيمته الفاخرة، وحين بدأ يزرع الأرض عرف بعدَي المساحة الطول والعرض، وصار اقتسام الأراضي وامتلاكها يتحدّد من خلال هذين البعدين، بعد ذلك بنى بيته الأوّل ليرتفع بجدرانه الحجريّة حاملة الأسقف الأولى، ليتطاول بعد ذلك في البنيان إلى ارتفاعاتٍ شاهقةٍ، تنطح السحاب، ثمّ جاء الزّمن ليأخذ دوره كبعدٍ رابعٍ، في ضبط حدوث الوقائع، وفي جعل الحياة محكومةً بالتّوقيت والزّمن، فالمعلومة التي نكتسبها في ثوانٍ، تحتاج إلى مدّةٍ تتراوح من ثلاثة أسابيع إلى ستّة أشهر لتحصيل المهارة فيها، كما تعدّدت وتنوّعت مناسبات حياتنا التي يحكمها تناوب اللّيل والنّهار والفصول والسنين.. وهكذا..... وبدأت الأبعاد تتنامى بشكلٍ متسارعٍ ،

لتؤلّف الظّلال وتكرّس العمق وتنقّب في المعنى والاتّجاهات، ظهرت أبعادٌ لها دلالاتٌ ودلالات...

فظهر البعد النّفسيّ للمواقف، البعد الجماليّ الظّاهر، والبعد الجماليّ الخفيّ للأشياء، البعد الذّهبيّ للجمادات، البعد التّاريخيّ للأحداث، البعد الفلسفيّ للعلوم والفنون، البعد البلاغيّ للكلمة، والبعد الآخر الماورائيّ لكلّ فكرةٍ أو موضوع..

وما لبثنا أن وجدنا أنفسنا نعوم في شبكة من الأبعاد.. لانهاية لها.

***** هل تحبّينني؟**

حين سألها... أجابتْه بشرودٍ واضحٍ، لكن دون تردّدٍ:

- ربّما.... أنا أحبّ كلّ شيءٍ بالمطلق.. أو.. أنا لا أحبّ أيّ شيءٍ على الإطلاق.

لم يسخر منها، ففي آخر علوم الفيزياء الكوانتيّة الحديثة، ثمّة حالاتٌ تشبه هذا، فتصدق حالةٌ كهذه، ولا يجد العلم لها تعليلاً.

***** فانية**

كلّما شكوتُ له من كذا أو كذا... أجابني ودون إبطاءٍ، وكأنّه الجبل الرابض ثقةً وسكينةً وطمأنينة.... أقول له:

- النّاس يموتون على يد أعدائهم، فيقتلهم الغدر أو الشرّ أو الجريمة، أو تحصدهم الكوارث الطبيعيّة، والأوبئة.... فيجيبني:

= لن يظلّ على وجهها أحد... إنّها فانية.

- المترفون يبنون الصّروح الشاهقة، يتنافسون في أفلاك التّبذير والإسراف، ويتقلّبون في عظيم النّعم والمتاع.....

= كلٌّ راحلٌ في يومٍ آتٍ، وليس على بدنه غير قماشٍ أبيض... فانية، ألم أقل لك إنّها فانية.

- يؤذيني البعض بسوء خلقه ، ويجحد النّاكرون فضلي ، ويسومني آخرون سوء المعاملة...

= كلّ حالٍ إلى زوال ، فلا تبتئسي كثيراً، لن تطول، ولن تدوم، ولن تستمرّ.. فلسنا الا في دارٍ فانية.

*** ر. ف. ك

لبعض المسائل النّادرة حلٌ وحيدٌ.. والبعض الآخر تتقاذفه الحلول الكثيرة وتتطاير في فضاءاته.. وتبقى المعادلات الرياضية قانوناً ينتظم الكثير من جوانب الحياة الخاصّة والعمليّة، حتّى الطبيعة فقد كتبت بمعادلات رياضيّة كما قال غاليليو، وما نحن البشر الا معادلات، سهلة أو صعبة أو مستحيلة الحلّ..

الفيزياء تغلغلت فينا، تماهت في أثيرنا وفراغات عيشنا، وهيمنت على طرائق سلوكنا ومجالات حركتنا، وما نحن الا أطياف تتجاذب، و تتنافر، وتتأثّر، وهي تمارس كلّ تطبيقاتها الدّيناميكيّة والالكترونيّة..

الكيمياء اتّحدتْ بجزيئات خلايانا.. وتفاعلت مع مركّبات وموادّ وهرمونات كياناتنا المتفرّقة، وما نحن الا ما نأكل وما نشرب.. تتحلّل داخلنا الأغذية.. وتتحوّل إلى مصائر.. من صحّة أو مرض.. ومن ابتهاج أو اكتئاب.. ومن حيويّة أو خمول.

***** مغامرات خطرة جدّاً**

عند الأمواج العالية جدّاً على شواطئ المحيطات الهائلة، يتزلّق محبّو ركوب الأمواج فوق زلّاجتهم المتواضعة.. وفي حضرة الثّلوج الخالدة عند المدارات القطبيّة المتجمّدة، يزمع الرحّالة على مقارعة أعتى مناخٍ وأشرس طقس.. وفوق القمم الشواهق حيث العلوّ المرتفع الخطر والتّضاريس المرعبة.. يتسلّق الكشّافة الصّخور المدبّبة، أو الملساء، أو القابلة للانهيار.. وعلى صفحات الأنهار الجارفة الصّاخبة وفي تعرّجاتها بين الصّخور والوديان، يمتطون زوارقهم الصغيرة، ويصارعون الماء في منعرجاتٍ وأوديةٍ غامضة.. هناك.. يقوم مغامرو الأخطار، ومتحدّو القدرات البشريّة العاديّة، باقترافِ أوقاتٍ مثيرةٍ، تجعلهم في تماسّ مباشرٍ مع الموت المحدق، وتمنحهم التحاماً بهيجاً مع قوى الطبيعة الرهيبة.. هناك.. تغدو جغرافيّة العالم منجماً ضخماً لأحاسيس الإثارة الفائقة، وكأنّها كسر لرتابة العيش الفاتر، وخلاصٌ من روتينها القاتل، واقتناص لمتعٍ حسّيّةٍ لا متناهية.. ويبقى السؤال الأجدى.. كم من النّاس يحبّ هذا النّوع من المغامرات، ويمارسه؟!!

***** كي لا أنسى**

قد أسامح، وأعفو، لكن بين قضبان الذّكرى، لكيلا أنسى، فالنّسيان مقتلة.. أحياناً.

***** اعتراف**

قلبي.. يتقلّب على أشواك دهشةٍ حيرى، باغتته لتقتنص عنده لذّةً موجعةً.. وعلى تخوم هذه الدّهشة، أعترف أنّ أوهامي الغرّة، قد خذلتني، حين تبعثرت الحروف ونقاطها، وانفرط عقدها في كلّ اتّجاهٍ، وصار من العسير احتواء بوصلتها، وإدراك غايتها، أعترف أنّي على تخوم حالةٍ شعوريّةٍ رهيبةٍ.. تشبه الوقوف على حافّة ثقب أسود، وأنا أتأمّل بحبٍّ من يشعلون الحرائق في دمي ليتوّجوا سمرهم الليلي المعتّق بمتعة احتساء نبيذ القلب المباح.

***** سيفٌ ذو حدّين**

الكلام سيفٌ ذو حدّين، فالكلمات التي نُفصح بها عن مشاعرنا وعواطفنا، تحرّرنا من ضغطٍ يرهق الوجدان والأعصاب، ولكنّها

في الوقت نفسه تمارس قمعاً خفيّاً علينا، إذ تحجب حقيقة الحالة النّفسيّة وتزيّفها أكثر ممّا تكشفها، وتراوغ في التّعبير عنها..

المبالغة الشديدة في البوح تُضعف الأحاسيس، وتوشك على جعلها باهتةً، هزيلةً، فاقدة البريق.. والثّرثرة المتواصلة تخنق نبض الإحساس، وتهدّئ روعة ثوارنه، وتطفئ لظى تأجّجه، وهنا تتجلّى حكمة " ربّ صمتٍ أبلغ من كلام " بالحالة الجسديّة المغلقة على مخزون المشاعر، فتشفّ عمّا بداخله دون هدرٍ لطاقته الكامنة، أو جماله المكنون..

وكذلك تتسامى وصيّة " لا تغضب " لتتوسّط كصمّام أمانٍ بين غليان جسديّ هائجٍ يقذف من خلال اللّسان البذاءة ويوجّه قبائح الاتّهام، وبين موقفٍ حركيٍّ غاضبٍ، يتنامى بقوّةٍ شيطانيّةٍ ليصير عنفاً ممجوجاً قد تشترك به أطراف الجسد.. فلنصمت أحياناً، لأنّنا عندما نتحدّث.. كثيراً.. نوشك على فقدان ما نحسّ به.

***** دبكة**

حين بدأت الموسيقى تعزف إيقاعاتِ الهوّارة والدلعونا والميجانا، تشابكت يدا زيدٍ وعمروٍ ، وابتدأا خطوات الدّبكة بانسيابيّةٍ مرحةٍ هادئةٍ، ما لبث بعدهما أن توافد العديد من الأشخاص تباعاً إلى حلبة الاحتفال.. وعمّتْ الغبطة الجماعيّة مشاعر الجميع، واكتملت حلقة الرقص البهيج عند المشاركة العامّة لكلّ المدعوّين..

ذابت "أنا" الراقصين المشاركين في كتلة الجماعة، وتخلّت عن امتيازات حركاتها الخاصّة، ولسان حالها يترجم "روعة أن نكون معاً.. ونبتهج معاً".

***** يقين**

لم يتردّد أبوه في كتابة اسمه في شهادة الميلاد "يقين" ، وقد اختار له هذا الاسم بالذّات، تتويجاً لفرحةِ قدومه المنتظرة منذ سنوات عجافٍ، غالب فيها أعراض عقمٍ جزئيٍّ كان يعاني منه..

كان يقينه بأنّ الواهب الخلاّق العظيم سيمنحه الولد، يتغلغل في قلبه الواثق، ولم يفارقه لحظة واحدة.

اليقين.. الكلمة الأعمق، في أعمق أعماق الإنسان..

نعلمه أوّلاً، علم يقينٍ، يدركه العقل ويؤمن به مترجماً في حادثات الواقع، ثمّ تراه العين، عين يقين، في شهودٍ بصريٍّ ملموسٍ، حتّى إذا اكتملت عناصر وجوده، وامتلأت به الروح والقلب، صار حقّ يقينٍ، في رؤيةٍ بصيرةٍ، تشهد له، وتعترف به، أنّه... نبأ يقين.

***** هل من مزيد؟!!!**

لم تتوقّف التّقنيّات الحديثة عن غمرنا بكلّ مثيرٍ للحواسّ الخمس، ولم تنتهِ سلسلة المهيّجات الزّائدة لأحاسيسنا ومشاعرنا عند حدٍّ، وهي تطرق آفاق الإثارة اللّامحدودة، لتجعلنا نعيش الحدث مضخّماً وكأنّنا في لبّه ومركزه..

فحين تسجّل لنا عدسة تصويرٍ مثبّتةٍ على صدرِ بطلِ سباقٍ يركب سيّارةً أسطوريّة السرعة، أو على جبين راكبِ أمواجٍ

محيطٍ عالية، أو في عنق مغامرٍ يسبح في الهواء قبل هبوطه المظلّيّ.. فإنّنا نشهد في هذا التّسجيل ما لا تستطيع الأقلام وصفه، ولا تقدر العبارات على شرحه..

كذلك الدّخول في تجربة التّصوير الثّلاثيّ الأبعاد مع كراسيّه المتحرّكة والمؤثّرات الحسّيّة المرافقة له من ماء وهواء وغير ذلك..

كذلك زيارة مدن الملاهي فائقة التّطوّر والتي تحوي من الألعاب الجنونيّة، والأخطار المفتعلة، والانغماس في حالات رعب مصنّع بحرفيّةٍ بالغةٍ..

كلّ ذلك تقنيّاتٌ مذهلةٌ.. تنسكب في الوجدان، لترفع درجة استثارته إلى أقصى مدى، ولا تتركه الا مدمناً عليها، يطلب المزيد والمزيد.

***** وراء كلّ تجربة**

وكما تفتح التّجربة العلميّة، للعالِم ألف سؤال وسؤال..

فقد تنامت لديّ الأسئلة.. تنامت.. وتداخلت.. واضطربت.. أمّا الأجوبة.. فهي معلّقة في فراغٍ غامضٍ.. واهنٍ.. زئبقيّ.

***** ثقافات منسيّة.. أو شبه منسيّة**

المجتمعات كائناتٌ حيّةٌ، دائمة التّطوّر، والتّشكّل، والتغيّر.. وفي أثناء سير المجتمعات الحثيث عبر الزّمان، تتساقط قيمٌ، وتبهت أفكارٌ، وتتلاشى ممارساتٌ أو تكاد تنعدم، بينما تتوالد قيمٌ وأفكارٌ وممارساتٌ أخرى غيرها، وتحتلّ مراكزها الأولى في قائمة النّشاطات العمليّة، والثقافات البشريّة.

وعلى سبيل الذّكر لا الحصر.. غابت مفاهيم كثيرة (وبنسبٍ مختلفة)، عن الساحات العامّة، فضعف وجودها، وقلّ الاهتمام بها، وغدت منسيّةً أو شبه منسيّة..

القراءة أضحت هواية النّخبة، وعمّ العامّة جهلٌ وسطحيّة..

النّظافة العامّة افتقدتْ في شوارع البلدان المتخلّفة، ونابت عنها قذارةٌ وإهمال..

البحث العلميّ تراجع إلى أروقة التّخصّص العالي، واستبدل باهتمامات الفنون والإعلام والمنتجات الربحيّة..

القناعة والرضا شوّهتهما عقليّة الرغبة بالحصول على كلّ شيءٍ مهما كان الثّمن..

الرساليّة في الحياة تناقص منسوبها، ليحلّ محلّها ارتجالٌ عبثيٌّ فارغ..

المبادرات إلى العمل التّطوّعي والوقف النّافع، انخفض أداؤها وتماهت مع عدم الاكتراث بالشأن العامّ، ومع العيش بأنانيّة مفرطة..

الرغبة بالإنجاز اضمحلّت، لصالح العبث واللهو والتّفاهة..

ولعلّ رصد هذه التّغيّرات ووضعها تحت دائرة الضّوء، يحفّزنا ويشدّ من عزمنا على استرجاع ما افتقدناه منها.

*** سقوط

تتساقط أسماء من الذّاكرة، وتغيب من قائمة الحضور، عندما يقف أصحابها على حافّة الحدث في ثقبٍ أسود.

*** طاقة كونيّة

جلست تحت شجرة الصّنوبر أستمدّ منها الطاقة الطبيعيّة التي تبثها أكوازها المخروطيّة، وأوراقها الخضراء المدبّبة.. شعرت بنوعٍ من الانتشاء يسري في كياني الهارب من ضجيج العالم وضحالته، وتاقت نفسي إلى مزيدٍ من النّشوة والانشراح، فرحت ألاحق في ذهني كلّ مصادر الطاقة الكونيّة الخلّاقة، وكلّ بواعث المتعة والإثارة..

طاقة الألوان المختلفة، الثّلاثة الرئيسة، الأحمر والأصفر والأزرق، وما ينتج عن امتزاجها الثّنائيّ أو الثّلاثيّ، وبنسبه المتدرّجة، ليعطي عدداً لامنتاهياً من درجات الألوان..

طاقة الضّحك والمرح، والأجواء التّفاؤليّة إزاء الأحداث..

طاقة المشاعر الطيّبة، المتبادلة بين النّاس، يتقدّمها الحبّ الصّافي.. ولعلّ أهمّ ما يرفع المعنويات ويشيع الأمان والسكينة، هو صلةٌ روحيّةٌ عامرةٌ بالسماء.

***** عتبٌ صغير**

يا قلمي الصّديق.. ما لي أراك اليوم تقف صامتاً، غير قادرٍ على ابتعاثٍ حرفٍ واحدٍ؟!.. كيف لا تطاوعني وقد كنت تسرف في صوغ البيان بأبهى حلّةٍ؟! وقد كنت تنتقل بين أساليب الشعر والنّثر، بين طرائق التّعبير والوصف، بين ألوان العواطف الرقيقة وتأثيرات المواقف الإنسانيّة؟!!!!..

كيف لا تطاوعني وقد كنت تنتقل بين كلّ هذا وذاك كطائرٍ مغرّدٍ، يوقّع أعذب الألحان وهو ينتقل من غصنٍ لآخر؟!!!.. لِمَ يطول صمتك شهوراً، وما أرى من حسن صداقتك لي الا لجلجةً في الصّدر لا تبين، وغمغمةً على الشفاه لا تُفهم؟!.. فما جليّة الأمر يا قلمي الصّديق.. أهجرتك طويلاً، فتعاقبني؟ أم أثقلت عليك، فمللتني؟ أجفّ المداد، أم غاض نبع البيان؟.. ألا هلمّ إليَّ، واغمس ريشتك في عميق نفسي، ولنعدْ أصدقاء.. كما كنّا.

***** ما بعد الزلزال**

حين تميد الأرض تحت الأقدام، وتزأر الصّخور وتتقعقع وكأنّها في عراكٍ.. حين تهوي أوابدٌ، وتنهار صروحٌ، وتتلاشى مدنٌ.. حين

يفقد الإنسان الركن الشديد، والملجأ الآمن، ولا يحتويه الا العراء.. حين تغيب إنسانيّة الإنسان أثناء الخطوب.. يتساءل المرء عن الثّوابت الحقّة.. أمّا أنا، فإنّي أرى أنّ الثّابتين الوحيدين في هذه الحياة هما..... "كلّ حيٍّ يموت.... وكلّ حالٍ يزول".

***** ما قبل الاحتلال، والغزو**

ثمّة خطواتٌ تقوم بها الدّول القويّة، المستعمرة، الطاغية، قبل بدء غزوها للبلدان الأضعف..

بادئ ذي بدء.. تقوم بإرسال مستشرقين إلى مجالاتٍ لاسياسيّة، تحت مظلّة العلم، أو البحث، أو التّبشير، فترى وفود المبشّرين، وعلماء الجغرافيا، ومنقّبي الآثار، الذين يقومون بدورهم على أكمل وجه، من خلال الدّراسات، وجمع البيانات والمعلومات..

يتمّ إنشاء معاجم شاملة للأجناس، والأقلّيّات، والطوائف، والقبائل..

يتمّ تأسيس مدوّنات تتقصّى جميع معتقدات الشعوب، والثّقافات، والأفكار، والتّراث..

يتمّ رسم خرائط للموارد البشريّة، والثّروات الطبيعيّة والتّاريخيّة، وأماكن وجودها وانتشارها، كمّاً، ونوعاً..

يتمّ دراسة الأسواق، والاحتياجات الصّناعيّة والتّجاريّة، والمنتجات المطلوبة، ضروريّة كانت أم كماليّة..

بعد ذلك كلّه.. تُرسم الخطط المناسبة، وتُلتمس المبرّرات المقنعة، وتُعلن الحجج المزيّفة، بعد إلباسها طبعاً، لبوس البراءة، والغيريّة، والأغراض الإنسانيّة..

بعضٌ منها.. ذريعة سدّ فراغ الدّولة في الشعوب البدائيّة، والمتخلّفة، والبعض الآخر.. تحرير المجتمعات المظلومة من استبدادٍ مزعومٍ، أو حقيقيّ.. ولن تعجزهم الحيلة، ولا الرأي، ولا القرار، في إيجاد أسباب الغزو، بجميع أنواعه، الفكريّ، والعسكريّ، والاقتصاديّ، والسياسيّ.

***** تشوّه**

حين يفقد المرء إرادة الاستمتاع بالحياة، يغدو مدمناً على العمل المتواصل، بشكلٍ هستيريٍّ، مريضٍ.. فيستنفذ كلّ قواه، ويفشل في النّمو السليم، فكريّاً، ونفسيّاً، وروحيّاً.

***** للبيت ربٌّ يحميه**

ماذا لو تمسّكنا بتلابيب هذه الجملة! أما كنّا اختصرنا الكثير من الصّراعات على الأشياء، وألغينا الكثير من الجدال حول الأفكار؟!.. النّاس يتقاتلون باسم ربّ البيت، وبدعوى نصرته، وما هو الا انتصارٌ لأنفسهم في واقع الحال.

***** شواحن**

الآخرون في كثير من الأحيان بمنزلة شواحن، فمن يشحنك إذا رأيته لتبدع، أو تنجز، أو تكون أكثر عطاءً.. ومنهم يشحنك لتفرح، أو تسعد، أو تصبح أكثر هناءً.. ولربّما كان الشحن إيجابيّاً باتّجاه الخير، أو سلبيّاً باتّجاه الشر.. فلنختر ولنصطفِ.

***** الحبّ شيءٌ آخر**

قد أحترمك، وأقوم بواجبي تجاهك على أكمل وجه، أمّا الحبّ.. فشيءٌ آخر.

***** العسل المرّ**

تصبّه الأقدار في أقداحي، فأتجرّعه، ثمّ أملأ منه سطوري.

# أولى رسائلي

إليك.. يا الله

أنا أحبّك يا الله..

لكنّني.. بطيئةً ماتزال حركاتي، خاملاً ما يزال سعيي..

رغم إيقاع الحياة العصريّة السريع، الذي تدور عجلته بجنونٍ حقيقيٍّ، وما هو الا ضجيج سرعةٍ زائدةٍ، وتنامي تقنيّة استهلاكيّةٍ هائلةٍ ، وتضخّمٍ مرعبٍ في كمّ ونوع المعلومات والمخترعات المتراكمة.

إيقاعٌ متسارعٌ حقّاً..

يلهث في أنحاء الدّنيا ليزداد متعاً، حسيّةً شهوانيّة عابرةً..

وليغنم مادّةً، أرضاً أو مالاً أو أشخاصاً..

وليحقّق نصراً، فكريّاً أو عسكريّاً أو اجتماعيّاً..

إيقاعٌ أرضيٌّ بحت..

لا علاقة له بالسماء، منقطعٌ عنها رغم وجود الكتب المقدّسة التي ترسم المنهج الربانيّ لبني البشر..

إيقاعٌ أرضيٌّ مجبولٌ بالطين..

يتحكّم بالأجساد البالية أو المتبالية، تراوده النّفس الأمّارة بالسوء ليظلّ حبيساً في سجن اللّحم والدّم..

وتظلّ الروح في منأى، ظامئةً صاديةً تناديها هواتف علويّة.. فهل من مجيب!!!

إنّه اعترافي، واعتراف الكثيرين معي، ممّن يسمعون النّداء، ثمّ تتثاقل حركاتهم إلى الأرض، وإلى الكسل، وقد امتدحتَ من يسارع إلى الخيرات، ليكون من الصّالحين.

يا الله.....

تشتدّ نوازع هذه النّفخة التّي جعلت منّي كائناً حيّاً من الأحياء..

تملك عليّ نفسي.. فتكونني وأكونها..

هذه النّفخة التي تتوق إليك، وتأنس بك وبمناجاتك.. فتضجّ بين جنبيّ وتشاغب شغباً رقيقاً لطيفاً...

تتقبَّلُ... بصبرٍ على قهر.. ضحضاحَ أحلامها

ترضى... بصبرٍ على نزر.. فُتاتَ أفراحٍ تعترض طريقها

تُسلّمُ... بصبرٍ على كسر.. أمر معيشتها المضطرب

تَغبِط... بصبرٍ على جمر.. من تسارع أنت لهم في هواهم.

ترابط... بصبرٍ على عسر.. ناظرة إلى يسرٍ بعده يلوح في الأفق.

تستمرّ... بصبرٍ على انتظار جبر.. تتلهّف إليه.

وتحاول... بصبرٍ على أجر.. طاعتك فيما أمرت به، أو نهيت عنه، أو شئته لي.

يا الله.....

ويمرّ العمر، الأجل، الذّي سمّيت لي.. وما هو الا صحائف..

يتلقّاها المتلقّيان، لحظةً بلحظة، وكأنّها تتطاير هاربة في وجه ريح.. متناثرةً بأثقالها، لا يعلم حقيقة ما فيها، سواك..

فإذا حان اللّقاء.. ووُضِعَ الميزان..

تتقدّم باستحياءٍ لتعلن نجاة صاحبها أو فوزه، ثمّ تتقاصر عن

" الا من تغمّدته أنت برحمتك"..

أحبّك..... وقد يغضب منّي مَنْ يغضب، ويهزأ بي مَنْ يهزأ.. وقد يغار مَنْ هذا الحبّ من يغار.. لكنّني لا أنكر حبّك، بل أعلنه.. ولا أخفيه، بل أبديه.. ولا أواريه، بل أعترف به..

يا الله..... لا يمكن أن يكون الا.. " سليماً ".. قلبٌ أنت ساكنه..

آتيك به، وقد ملأته حبّاً..

لأقف بين يديك الرحيمتين.. وأنا لا أملك سواه..

أقف.. لأقول لك بمزيد من الحبّ:

" وعجلت إليك ربِّ لترضى ".

## رسالة إلى "الأنا"

### في قفص الاتّهام

حين كثرت جرائمُكِ، وتلاحقت مخالفاتك، وأمعنتِ في الغيّ والعُجب والغرور.. قرّرتُ أن أحاكمك.. أن أدخلك في قفص الاتّهام، وأن أرفع ضدّك في محكمة الحياة دعوى قضائيّة لاستصدار حكمٍ عادلٍ يليق بك.. فالبثي ساكنة بين القضبان، وأصغي جيّداً إلى كلّ الاتّهامات.. يا أيّتها الأنا.. إليك تُنسب فظائع من شتّى الأنواع والأطياف..

أنتِ.. تختالين "أحياناً" رغم فقرك وعوزك بملابس التّكبّر الفارغ، وبالمباهاة الخلّبيّة، وبما ينسب لغيرك، وأنت منه خالية الوفاض..

أنت.. تدمنين على فكرة الاستحقاق، وتتعاطينها ليل نهار، بما أنتِ أهلٌ له، أو بغير ما تستحقّين، ويصير إدمانك هذا سوطاً تجلدين به كلّ من حولك..

أنت.. تطلبين من الرؤوس خفضًا في حضرتك الملكيّة الطاغية الزّائفة.. أنت.. تنبشين في جيوب الآخرين، عامرة كانت أو عاثرة،

بحثاً عن قطعة حلوى، وعن ثناءٍ بغير حقّ، وعن ولاءٍ جبريٍّ مرهونٍ بآلائك وآفاقك وأبعادك..

أنت.. تتقنين فنّ الابتزاز العاطفيّ، ومهارة الاختلاس المحرّم، وتجوبين في فضاءات ما تحسنين وما لا تحسنين....

آهٍ منك أيّتها الأنا... إلى من سنشكو حزننا من اجتراحاتك.. وألمنا بسبب افتراءاتك.. وضياعنا حين تطغى عنجهيّتك؟!

إلى من سنبثُّ مخاوفنا عند أعاصيرك.. ودهشتنا من تقلّباتك.. واضطرابنا في متاهاتك؟!

إلى من سنرفع مظلمتنا؟! وأيّ قاضٍ سينظر في قضيّتك الشائكة؟!.... أيّ قاضٍ.. وكلّنا.. " الأنا "..

كلّنا النّائب العامّ ومحاميّ الدّفاع.... كلّنا.. الأنا..

نلوذ بحصنك حيال الآخرين.. ونأوي إلى جبالك لنعتصم من ماء الطوفان.. نختارك طوعاً أو كرهاً لنؤدّيَ لديك طقوس النّرجسيّة.. ونراوح بين أفانين جنون العظمة.. نتنقّل بين ذرا "لي" الفرعونيّة، و"عندي" القارونيّة، و"أنا " الإبليسيّة، ثمّ نشكو من

كلّ ما نراه نقصاً في كمالنا المزعوم، وانتقاصاً من مكانتنا العالية المفترضة.....

أعرف وأعترف أنّك متعدّدة الصّلاحيات، وموشوريّة الجوانب، وأنّ في كلّ ما ينسب إليك من خصالٍ، ثمة نسبيّة تفرض نفسها، ثمّة نسباً متفاوتةً من الخطأ والصّواب.. وأنّ لكينونتك الصّاخبة سرَّ استمرار الحياة، ولو خالطها بؤسٌ وعناء ومكابدة.... أعترف أنّنا كلّنا " أنا ".....

فليحاكمك كلٌّ منّا على طريقته.

# رسالة إلى البديل

هل جرّبت الفقد يا صديقي؟!!

هل فقدت وطناً تمسّكتَ به حتّى الرمق الأخير، ثمّ لفظك كنواةِ ثمرةٍ إلى أرض الغربة، لتعيش مع أقوامٍ ينبذونك أكثر ممّا يحتوونك، ويستغلّونك أكثر ممّا يمنحونك؟!!

هل فقدت عائلةً أطاحت بها أهوال حربٍ غاشمةٍ، أو كوارث طبيعيّةٍ طارئة، أو حوادث يفتعلها البشر الأشرار بغباءٍ ساذج.. أو بدهاءٍ مطلق.. ولا تورّث الا الشقاء.؟!

هل فقدت صديقاً حملته الأقدار إلى أصقاع الأرض، يتكسّب عيشاً ويقتات حظوظاً وأحلاماً، وقد كان إلى جوارك الأُنس والمشاركة والسند؟!

هل فقدت شيئاً تحبّه لأنّه يمثّل بالنسبة إليك ذكرى غاليةً من ماضٍ جميلٍ، ربّما هو كتابٌ أُهدي إليك، أو قلمٌ اقتنيته بشغفِ هاوٍ، أو لعبةُ طفولةٍ وصبا، تربط قلبك بأجمل سنيّ العمر اللّاهي؟!

هل فقدت مالاً جنيته ممزوجاً بقطرات عرق الجبين، وتأوّهات الجهد والمصابرة؟!

النّاس يا صديقي يتكثّرون من البدائل، وهم يتوهّمون ملء الفراغ، وردّ الضّالة.. يدّعون صلاحيّة بدل ضائع، أو بدل غائب، أو بدل مفقود، ويستترون تحت مظلّة أحقيّة إيجاد البديل..

صدّقني.. لا أحد يحتلّ مكان أحد، ولا شيء يعوّض شيئاً آخر..

إنّ فرادة الأشخاص والأشياء تفرض نفسها كالبصمات على جدران قلوبنا، فلا يتربّع شخصٌ أو شيءٌ، على عرشٍ سبقه إليه سابق، والعروش كالأيّام وكالأنفاس لا تعاد ولا تتكرّر.

قد تضيع منّا أشياؤنا الثمينة.. قد نخسر أمانينا الغاليات.. وقد يمرّ العمر من بين أيدينا.. بينما الفقد يأخذ منّا كلّ ما يحلو له، والضّياع يفترس سنواتنا، والغياب يطوي ما نحبّ..

عند ذلك.. ترغمنا شهوة البقاء، وغريزة التّملّك، وسطوة الحبّ، وتدفع بنا إلى البحث عن بديل، فيقذف ذلك بقلوبنا في مجاهل

التعلّق المرضيّ، ويورّطنا بالمزيد من الاقتناء والتكثّر، فإذا نحن في مضمار السباق الأزليّ لاغتنام الفرص، والتنافس عليها..

أمّا أنت أيّها البديل.. فهل تراك تستطيب المكان الجديد الذي استُقدمتَ له.. وتقنع بدورٍ لم يكن لك في أوّل الأمر؟!!

أنت لست الا ظلًّا لكائنٍ مرّ من هنا.

# رسالةُ إلى آخر الراحلين

أوّل الراحلين كان حزني، وآخرهم كنت أنت...

وما بينكما مرّت عقودٌ من العمر، وأرتالٌ من الراحلين...

قبل رحيل أوّلكما.. كان الحزن صديقاً...

يضمّ رأسي المثقل إلى صدره الحنون، يمسح دمعتي، ويواسي آهتي، ويضمّد جراحي النّازفة، ويضفي على وجودي عذوبةً، ومسحةً من شاعريّةٍ رقيقةٍ، وشيئاً من ضياء المعذّبين..

كان الحزن صديقاً، أُفرغ لديه جرار معاناتي، وأملأها سكينةً ورضا، وأبثّ في مسمعيه شكواي، فيعيدها الصّدى ترنيمةً عذبةً شفّافة..

كان ينساب في قلبي جدول عاطفةٍ مرهفةٍ، ويترقرق أنغام روح.. فيجعلني أكثر دفئاً، وألمع حناناً، وأشدّ ألفةً، وأحنّ دمعاً..

وكان الحزن أكثر من صديق.. مملكتي السعيدة، ودنياي الأثيرة، وناري الحكيمة.. كان كلّ ما فيّ، وكلّ ما لديّ، به امتلكت ذروة

الأشياء الحميمة ، ووصلت إلى نهايات التّواصل الواسعة، ومعه كنت أعود في كلّ مرّةٍ.. أصفى، وأنقى، وأبهى جمالاً، وأكثر شفافيّة..

ثمّ افتقدت الحزن.... ووجدتني في غيابه متسربلةً بالسواد، قاتمةً، عاتمةً، ذابلةً.. أتسكّع في شوارع العمر المقفرة، تائهةً بغير دليلٍ، مبعثرة الحسّ والخاطر والوجدان، تتقاذفني الفظاظة والجلافة والكراهة.. لقد افتقدت الحزن صديقاً، وافتقدت معه كلّ ما هو جميلٌ وحيّ، وبرحيله لم أعد آبه.. وتوقّفتُ عن أن أحزن أو أبالي..

نضبتْ دموعي، وجفّتْ أوهامي، ودخلتْ كلماتي في غيبوبة الموت، وبقيتُ أتأرجح بين العيش والحياة كنوّاسٍ عجوز...

إلى أن كان مجيئك، التّسوناميّ الأسود..

رأيته في الحلم يرتفع موجاً أسود هائلاً، ويغمرني بدهشة العاجزين المنبهرين، ثمّ يلقي بي إلى حيث ألتقط رباطة جأشي، وسكينة روحي، وألملم شتات ذاتي.

أتيتَ محمّلاً بنبوءاتٍ غامضةٍ، وهواجس استثنائيّةٍ، وتأويلاتٍ مربكةٍ..... لذا... لم تمكث طويلاً، رغم حرارة تمسّكي بك، ولهفة انتشائي بوصولك، ومحاولات استبقائي لك.

أنا استبقيتك ثلاثاً.. استرجعتك غير مرّة.. وقد نأيتَ ببساطةٍ ويسرٍ.. واستغنيت بسهولةٍ ولامبالاة، وكانت لغة جسدك تدفع بي خارج مدارك، تصفق الباب خلفي، وترميني في وجه ريحٍ غادرةٍ.. لكنّني عدت إليك ثلاثاً.. أطرق نافذتك كعصفورٍ مبلّلٍ، أسألك الاحتماء بحنانك، وأتسوّل حبّاً هلاميّاً لا شكل له، وعاطفةً ضبابيّةً تتسرّب وتتلاشى دون إذنٍ أو سابق إنذار..

أنا استرجعتك ثلاثاً.. وتوسّلت الأقدار أن تكفّ عن استلاب فرحي بك..

في المرّة الأولى.. تركتني أتعثرّ بأثقالي ولم تُعنّي.. في الثّانية.. انسحبت من تكاليف اللّقاء ومؤونته وضريبته.. وفي الثّالثة.. غدرت بكلّ وعودك، ولم تفِ..

فيا آخر الراحلين.. وبدون مقدّماتٍ.. لم تعد حبيبي..

أنا أكفيك شرّي.. لكنّ خيري سيظلّ يلاحق خطوك الشارد.. فما أنت الا قدر.. وما حبّك الا رزق.. وما أنا الا طيف أحبّ طيفاً.. ولم يزل .

# رسالة إلى وحدتي

أيّتها الوحدة.. أنت قاعٌ مريرةٌ، تستغرق الروح الشاحبة، وتلقي بظلالها الباردة فوق روابي الصّمت والسكون.. تتغلغل في سراديب الذّات المعتمة وتزكم برائحة العفن المتراكم من إرهاصات الألم.

أيّتها الوحدة.. أنت دوّامةٌ تستلب لون الفرح من أيّام العمر الذّابل، تصفر كريحٍ خريفيّةٍ تلهو بهشائم الأوراق الصّفراء، وتلقي بها على أرصفة الزّمن المرّ.

غير مرّةٍ.. حملتِني بأجنحتك إلى أرض المنفى، إلى أرض الغربة، رغم آلاف الوجوه التي التقيتها في حياتي..

رغم كثرة الصّداقات والعلاقات الإنسانيّة الدّافئة..

رغم الجرأة على الدّخول إلى عوالم الآخرين والرحيل في أزمنتهم، وأمكنتهم، وأشيائهم.

رغم تدفّق الحبّ في كلّ مكانٍ، وكلّ آنٍ..

رغم كلّ هذا..... فقد كنتُ ولا زلت وحيدة..

حتّى الدّخول إلى القفص الذّهبي، كان منوطاً بأحلام الملاذ الآخر، مرهوناً بالشوق إلى اكتمال الرحلة في دنيا السكينة، ومتعلّقاً بحبال الشمل الحقيقيّ للرّوح الظّامئة.. وها هي الأعوام تتلاحق وما من حصادها غير الهباء.. غربة، وتغرّبٌ، واغتراب.

أيّتها الوحدة....

أنا روحٌ جامحةٌ شرسة.. لا تفلح في ترويضها أقصى المهارات المتحذلقة..

أنا قلبٌ كليمٌ هامدٌ.. أذلّه طوفان الحقد، واغتالته المشاعر السوداء..

أنا يدٌ كليلةٌ.. أعياها التمسّك بحبال الصّبر، وأثلجت أطرافها برودة الانتظار....

واعتدتك يا وحدتي.. اعتدتك رغم أنفي، مرغمةً، وقد صرتِ دماً يجري في عروقي، يحرّك خلاياي وجوارحي ممتزجاً بالشكّ

والارتياب وفقدان الثّقة.. اعتدتك وقد أحطتِ بي كشرنقةٍ حجريّةٍ والتففتِ حولي كقوقعةٍ من صوّان.

بك ومعك.. صارت كلّ الكلمات المتداولة حياديّة، فاترة، لا روح فيها أو معنى.. صارت كلّ المشاعر المتبادلة باهتةً، حذرةً، متوجّسةً، يسكنها البرود والظّلام كفتيلٍ صغيرٍ يقاوم عتمة العالم.. صار الخوف شراعاً ممزّقاً يطفو بي في التّيه العظيم.. وتحوّل الكبت إلى قضبان وأسلاك شائكة، ينسحب العمر إلى ما وراءها ليعاني القهر والعجز.

يا وحدتي.. أيّتها الكينونة المتمرّسة في عنادٍ وسط طريقي، أنا أعترف أنّني أكونك وتكونينني، لكنّني معك أنتقل برؤيتي إلى النّصف الآخر المليء من الكأس، فأجد أنّي أستطيع وبروح المتفائل إيجاد سمةٍ إيجابيّةٍ من خلالك ومن خلال هيمنتك المفروضة... أجعلك في رمز الخيال طيوراً جارحةً قويّة الجناح، تحملني أجنحتها إلى عوالم أخرى، لا تطالها يد الضّجر والاكتئاب.. أجنحة تنبت من أجنحة الحلم، ثمّ تتعملق بسرعةٍ كبيرةٍ، وتسحبه ذيلاً قزم الدّليل، لا يملك غير تحديد الاتّجاه..

أجنحة تصخب في عنفوان التّحليق الهائج، مثل تائبٍ يكفّر عن ذنوب اليأس والإحباط والقنوط..

فإلى أين ؟ إلى أين يمكن أن تحملني أجنحة الوحدة ؟!!!

وهل ستحطّ بي في واحات السراب الخادع، أو ستتهادى بموكبي تحت أقواس النّصر الملوّن؟!!!

أنا حين أزداد عزلةً وانفراداً، تتفتّح في ذاتي رغبة الكتابة، ويصير القلم الشراع الذّي يطوف بي عبر الآفاق.

حين أُمعن بالوحدة.. يتحوّل الغضب السافر في داخلي إلى بركانٍ يتفجّر إبداعاً وخيالاً.. تتدفّق الحروف لترسم عوالم إنسانيّةً مشحونةً بالمشاعر والأحاسيس، ويصحو القمر الصّديق في ليالي السهر ليرافق الكلمات في رحلتها عبر مدارات النّجوم الحالمة.. ويصحو الكون من جديدٍ على إيقاعات الأحلام المتواثبة في فضاءات النّفس، يحدوها صهيل الأشواق الجامحة، ويتناغم معها صخب الرغبات المتمرّدة، وتفيق من غفوتها ومن هدأتها عرائس الإلهام وحوريّات الخيال.. وتشتعل عوالمي الخاصّة كمهرجانِ فرحٍ يرقص فيه آلاف الكائنات، ويخفق قلبي بخفرٍ

وحبٍّ مرتشفاً من رحيق السعادة قطراتٍ نادرةً، تنتشر في خلاياه ألقاً فيعاود الرقص في معبد الحياة، طاغي التّصوّف، شديد التّبتّل.. ترقّ حواشيه، وتشفّ كوامنه، ويضيء كقطعة ماسٍ جميلةٍ.. ألمسه بطرف أناملي فيشعّ نوراً وأفكاراً وخواطر.. تهرني تدفّقات الوجدان فيه كشلالٍ هادرٍ يعجز القلم البارع عن اصطياد ذرّاته الفيّاضة وحصرها في دائرة البوح المطلق.. الا أنّه يظلّ يحترف الصّيد والمحاولة.. وتظلّ تأسره روح المغامرة في الدّخول إلى تلك العوالم الساحرة وقد ازدادت سحراً وعذوبةً وروعة.

# المحتويات


الإهداء ..... ٥

النَّورَسان ..... ٧

يحكى أنَّ.... ..... ١١

لعبة الاختفاء ..... ١٦

هواجس غراب ..... ١٧

لوحة رقصة الطاووس ..... ٢٣

وضعٌ خاصّ ..... ٢٦

خلف كلّ جمال ..... ٣١

حكاية يزن ..... ٣٦

قناديل الخريف ..... ٤١

زُحل.. صديقي ..... ٥٤

مهرجان الأصفار ..... ٥٩

داءُ هذه الأيّام ..... ٦٦
جرسُ إنذار ..... ٧٠
قصص ومقولات قصيرة جدّاً ..... ٧٣
أولى رسائلي ..... ١١٩
إليك.. يا الله ..... ١١٩
رسالة إلى "الأنا" ..... ١٢٣
رسالة إلى البديل ..... ١٢٦
رسالةُ إلى آخر الراحلين ..... ١٢٩
رسالة إلى وحدتي ..... ١٣٣

المؤلّفة في سطور

يمان عبد الحميد ياسرجي - مهندسة معماريّة - صدر لها :

مجموعات قصصيّة: - عقد الياسمين - ليال بنفسج

- إيقاعات ملونة - قناديل الخريف

وجدانيات وقصائد: - فسيفساء في خزينة الذّات - لغز المحال

- في حضرة الوطن - أبوح ولا أبوح

- ثورة طائر الفينيق

مقالات قصصيّة: - كن رائع الجمال - بصمات – قلم يكتب الحب-

مسرحيّات للأطفال:- جحا يزور التليتبيز

- المفكّرون الصغار

- أصدقائي الخمسة

- نحّولة تبدأ من جديد

قصّة للأطفال:- مغامرة الحروف

قصص للنّاشئة:- كانوا أطفالاً مثلكم -- حكايات للجيل القادم

- إليك يعود الصّدى

تأمّلات فكريّة:- سياحة خاصّة مع الحيوان في القرآن

- كمَثَل حبّة

رواية:- عندما يعصف الحبّ - البنكام

كتب قيد الطباعة : -حروب على تخوم الروح/تأمّلات فكرية/

- حكايات الطفل المبدع /قصص أطفال/